

صفحات مضيئة من عبادة السلف

جمع وإعداد
إبراهيم محمد حسين العلي

مكتبة المنار


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صفحات مضيئة
من عبادة السلف

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



الأردن - الزرقاء - شارع الفاروق - جانب جمعية المركز الإسلامي

هاتف : ٩٨٣٦٥٩ - ص.ب : ٨٤٢ - فاكس: ٩٩٥٦٥٠-٩ - ٩٦٢

صفحات مضيئة من عبادة السلف

جمع وإعداد
إبراهيم محمد حسين العلي

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإن العبادة عنوان شرف المؤمن ، ورمز خضوعه لخالقه ، فكلما زادت العبادة زاد الخضوع ، وكلما قلت العبادة تمردت النفس وشمست ، ولقد كان من فضل الله أن جعل في هذه الأمة جيلاً عابداً منقاداً ، يضرب به المثل في كثرة عبادته ، وشدة انقياده ، وزيادة لجوءه إلى خالقه .

ولقد ضرب السلف الأول بالحظ الأوفى في هذا المقام ، وأحرزوا قصب السبق في ذلك ، حتى كانوا نماذج بشرية حية ، يقتدي بها الناس ، ليتمثلوا عميق الخوف من الله ، وعظيم القرب من الله ، عبر أقوام ليسوا بأنبياء ، إذ لو كانت النماذج من واقع الأنبياء ، لكان لأي إنسان أن يتقول فيقول : هذه زمرة الأنبياء ولا استطاعة لنا بهذا الفعل من طبيعتهم ، أما والأمر على ما حدثتك من سيرة السلف الصالح في العبادة بكافة فروعها ، تمثلاً لشمول العبادة ، ولعل من نافلة القول أن نقول : إن هذا الجيل في عِصرنا الذي صبغت المادة وجهته وقزم الروتين عبادته ، وأكلت الأهواء قلبه ، وقضت الأشجان على الأمل في صدره ، لهو بحاجة إلى القدح بزند عبادة السلف ، ليعرفه إلى ربه طريقاً ، وإلى رشده سلوكاً ، وإلى صحوته بروقاً ، علَّ الصحوة تأخذ من هدي إنابة المنيبين ، وعبادة العابدين ، وإقبال التائبين بما يدفع في صدور أعدائها ، والغاضبين منها : أن هذه صحوة التائبين ألا فاهربوا من طريقها ، وهذه دعوات الصالحين الا فتحوطوا من مفعولها ، وهذا شرف

الشرفاء الا فَمَنُّوا نفوسكم أن تكون مثلهم .

أقول هذه نماذج من عبادة السلف ، جمعت بدقة ، وصيدت باتقان من كتب التراجم الحافلة بكل نفيس ، لئن كان لك أخي القارىء أن تسألها عن مكارم الكرام فإنها ستجيبك ، وعن مواقف الرجال فإن حاديها سيحديك ، وعن تعاقب الأزمان فإن محدثها سوف يسمعك من أخبار تلك القرون .

وبعد :

فهذه صفحات استخرجت من مناجم الرجال ، وليبصرها الرجال ، وليعيش عليها الرجال ، وتتواضع كل نفس رجل منا بعد سماع أخبار عبادة القوم ، في زحمة الغرور والطيش ، ولنتهم أنفسنا بالقصور والذنب ، احتقاراً منا لأعمالنا التي نظنها أعمالاً ، نسأل الله أن يستر علينا بها .

حري بنا جميعاً ، وبكل مقبل على الله عز وجل ، أن يسمع كلام الأكرمين ، ويرى ما عليه حالنا من التفريط ، فيعاتب نفسه ويحثها على التشبه بهؤلاء الكرام في أقوالهم وأفعالهم ، ورحم الله القائل :

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من سجيته المعاصي   وإن كنا سواء في البضاعة

أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان أعمالي يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه إنه هو الجواد الكريم .

والحمد لله رب العالمين .

(تمهيد)

إن من أول مقتضيات الفطرة العبودية لله تعالى يقول الله عز وجل : ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى**﴾ . فهذه هي الفطرة : العبودية لله تعالى ، والمظهر الرئيسي لهذه العبودية قبول هداية الله عز وجل التي بعث بها الرسل عليهم الصلاة والسلام . فالفطرة تحقق النفس بالعبودية لله عز وجل التي هي أثر عن معرفة الله عز وجل ، والتي تستتبع الخوف من الله ، والرجاء له : وتقواه ، وشكره وعبادته ، والإخلاص له ، والصدق معه ، والصبر على بلواه وتكاليفه ، والمحبة له ، والزهد فيما يشغل عنه ، ومن هنا يتواجد في النفس ما نسميه بمقامات الإيمان واليقين ، مما يجب أن تصل إليه النفس ، والعبادة والعبودية لله عز وجل اسمان جامعان لكل ما يحبه الله عز وجل من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : -

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الارحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار ، واليتيم والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين ، والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة اليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك من العبادة لله »[١] .

فالعبادة إذاً ـ من خلال حديث شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أفق رحب ، ودائرة واسعة ، تشمل الدين كله ، بكل ما فيه من أحكام وتكاليف ، وفرائض ونوافل ، ومعاملات وعلاقات دولية ، وأخلاق وسلوك ، وسياسة شرعية .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «إن الدين كله داخل في العبادة . إذ الدين يتضمن معنى الخضوع والذل ، يقال : دنته فدان ، أي أذللته فذل . ويقال : يدين الله ويدين لله ، أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له ، فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له ، والعبادة أصل معناها الذل أيضاً »[٢] .

وإذا عرفنا أن الدين كله عبادة كما قال ابن تيمية رحمه الله ، وعرفنا أن الدين قد جاء يرسم للإنسان منهج حياته ، الظاهرة والباطنة ، ويحدد سلوكه وعلاقاته ، وفقاً لما يهدي إليه هذا المنهج الرباني ـ عرفنا أن عبادة الله تسع الحياة كلها ، وتنتظم أمورها قاطبة ، وأنها ليست محصورة في الصلاة والصيام والحج وما يلحق بها من التلاوة والذكر والدعاء والاستغفار ، كما يتبادر إلى فهم كثير من المسلمين إذا دعوا إلى عبادة الله ، وكما يحسب كثير من المتدينين أنهم إذا قاموا بهذه الشعائر فقد وفوا الإلهية حقها ، وقاموا بواجب العبودية لله كاملاً .

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الاساسية في بناء الإسلام ـ على منزلتها وأهميتها ـ إنما هي جزء من العبادة لله ، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده .

والحق أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان ، وجعلها غايته في

---

(١) العبودية ص (٣٨) طبعة المكتب الإسلامي .
(٢) العبودية ص (٤٣ ـ ٤٤) .

الحياة ، ومهمته في الأرض في قوله تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون**﴾ دائرة رحبة واسعة ، إنها تشمل شئون الإنسان كلها ، وتستوعب حياته جميعاً .

وهذا ما أوضحه الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى حين كتب إلى عبد الله العمري العابد يوضح له هذه الحقيقة :

قال ابن عبد البر في التمهيد : هذا كتبته من حفظي وغاب عني أصلي : أن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الإنفراد والعمل ، فكتب إليه مالك : إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فتح له في الصلاة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الصدقة ، ولم يفتح له في الصوم ، وآخر فتح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر ، وقد رضيت بما فتح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه ، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر[٣] .

فالإمام مالك رحمه الله يرى أن للناس قدرات في التفكير والعمل متفاوتة ، فقد يوفق عبد للاجتهاد في عبادة من العبادات ، ويبدع فيها ولا يفتح له في مجال آخر ، وقد يوفق آخر في عبادة لا يوفق لها إنسان آخر ، وهكذا . . . طالما الجميع يسيرون وفق الإطار الشرعي فلا مانع في ذلك بل وجميعهم على خير وبر .

وهذا عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يرسل رسالة إلى الفضيل بن عياض في مكة وابن المبارك يجاهد الروم في طرسوس يخبره فيها أن ما يقوم به ابن المبارك من الجهاد في سبيل الله ، ليس بأقل أجراً مما يقوم به الفضيل بن عياض من المجاورة في بيت الله الحرام ، إن لم يكن أكثر أجراً منه :

عن محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال : أملى عليَّ ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة ، وانفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس : ـ

---

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/١١٤) .

يَا عَابِدَ الحَرمَيْنِ لو أَبْصَرْتَنَا لَعَلِمْتَ أنَّكَ في العِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضِبُ جيدَه بدُموعِهِ فنحورنا بدمائنا تتخضبُ
أَو كانَ يَتعبُ خَيْلَه في باطِلٍ فخيولنا يَومَ الصبيحة تَتعَبُ
ريح العبير لكم ونحنُ عبيرنا رهج[4] السنابكِ والغبارُ الأَطيبُ
ولقد أتانا من مقالِ نبينا قَوْلُ صَحيحٌ صادقٌ لا يُكْذَبُ
لا يَسْتوي وغبار خيل اللهِ في أَنْفِ امْرِئٍ ودُخانُ نار تلهبُ[5]
هذا كتابُ الله ينطقُ بيننا لَيْس الشهيدُ بميتٍ لا يُكْذَبُ

فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم ، فقرأه وبكى ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ونصح[6] .

فهذان الإمامان الجليلان مالك وابن المبارك يوضحان أن مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم شامل يشمل شتى جوانب الحياة .

إن شمول معنى العبادة في الإسلام له آثار مباركة في النفس والحياة يحسها الإنسان في ذاته ويلمسها في غيره ، ويرى ظلالها في الحياة من حوله ، وأبرز هذه الآثار وأعمقها أمران :

الأول : أنه يصبغ حياة المسلم وأعماله فيها بالصبغة الربانية ، ويجعله

---

(٤) الرهج : الغبار ، والسنابك جوانب حوافر الخيل .

(٥) يشير إلى الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ، ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً » أخرجه أحمد (٢/٢٥٦ ، ٣٤٢ ، ٤٤١) والنسائي في الجهاد باب فضل من عمل في سبيل الله حديث رقم (٣١١٠) (٦/١٣) والحاكم (٢/٧٢) والبيهقي (٩/١٦١) وفي سنده ابن اللجلاج لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات وله طرق أخرى أسانيدها حسنة منها حديث الليث عن محمد بن عجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عند احمد (٢/٣٤٠)، النسائي (٦/١٢ ـ ١٣) رقم ٣١٠٩ والحاكم (٢/٧٢) وهذا سند حسن صححه ابن حبان (١٥٩٧) (١٥٩٩) وانظر طرقه الأخرى عند النسائي (٦/١٢ ـ ١٤) بأرقام (٣١٠٨، ٣١١١ ، ٣١١٢ ، ٣١١٣ ، ٣١١٤ ، ٣١١٥) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/٤١٢) .

مشدوداً إلى الله في كل ما يؤديه للحياة ، فهو يقوم به بنية العابد الخاشع ، وروح القانت المخبت وهذا يدفعه إلى الاستكثار من كل عمل نافع . وكل إنتاج صالح ، وكل ما ييسر له ولابناء نوعه الانتفاع بالحياة ، على أمثل وجوهها ، فإن ذلك يزيد رصيده من الحسنات والقربات عند الله عز وجل ، كما يدعوه هذا المعنى إلى احسان عمله الدنيوي وتجويده وإتقانه ، ما دام يقدمه هدية إلى ربه سبحانه وتعالى ، ابتغاء رضوانه وحسن مثوبته .

والثاني : أنه يمنح المسلم وحدة الوجهة ، ووحدة الغاية في حياته كلها ، فهو يرضى رباً واحداً ، في كل ما يأتي ويدع ، ويتجه إلى هذا الرب بسعيه كله : الديني والدنيوي ، لا انقسام ولا صراع ولا ازدواج في شخصيته ولا في حياته .

إنه ليس ممن يعبدون الله في الليل ، ويعبدون المجتمع في النهار .

وليس ممن يعبدون الله في المسجد ، ويعبدون الدنيا أو المال في ساحة الحياة .

وليس ممن يعبدون الله في يوم من أيام الأسبوع ثم يعبدون ما سواه ومن سواه سائر أيام الأسبوع .

كلا إنه يعبد الله وحده حيثما كان ، وكيفما كان ، وفي أي عمل كان فوجه الله لا يفارقه في عمل ولا حال، ولا زمان ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ البقرة (١١٥) . وبهذا ينصرف همه كله إلى الله ، ويجتمع قلبه كله على الله ، ولا يتوزع شمل حياته وفكره وإرادته ووجدانه في شتى الإتجاهات ، والتيارات والإنقسامات .

إن حياته كلها وحدة لا تتجزأ ، منهجه فيها عبادة الله ، وغايته رضوان الله ، ودليله وحي الله[٧] .

هذه مقدمة لا بد منها بين يدي هذا الموضوع الذي سيعرض لنا صوراً من حياة السلف واجتهادهم في جزء من مفهوم العبادة الشامل في الصلاة

(٧) العبادة في الإسلام يوسف القرضاوي ص (٦٥ ـ ٦٦) .

والصيام والحج وقراءة القرآن وخوفهم من الله عز وجل ، لكي لا يتطرق إلى الأذهان أن مفهوم العبادة قاصر على هذه الأصناف ومواطن الأجزاء الأخرى من مفهوم العبادة الشامل من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، ومن آداب وسلوك ومعاملات صنفت فيها الكثير من المصنفات فهي غنية عن التعريف بها في هذا الموضع ، والله أعلم بالصواب .

الباب الأول

المجاهدات وأدلتها وأحوال النبي عليه السلام القولية والفعلية في الاجتهاد

وفيه ثلاثة فصول :

● **الفصل الأول : ـ المجاهدة وأدلتها الشرعية ومنهج الصحابة في الاجتهاد في العبادة .**

● **الفصل الثاني : أحوال النبي صلّى اللّه عليه وسلم الحاثة على الاجتهاد في العبادة .**

● **الفصل الثالث : ـ نماذج من نهيه عن المبالغة في الاجتهاد في العبادة وأسباب ذلك .**



الفصل الأول

« المجاهدة »

تعريف المجاهدة :

قال الراغب الاصفهاني في مفردات غريب القرآن :

الجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو ، والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى : ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**﴾ وقوله : ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**﴾ وقال ﷺ : «**جاهدوا أهواءكم كما** تجاهدون أعداءكم »[1] .

ويقول الإمام البركوي في الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية ما نصه : المجاهدة : وهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات ، فهي بضاعة العبَّاد ورأس مال الزهاد ، ومدار صلاح النفوس وتذليلها ، وملاك تقوية الأرواح وتصفيتها ووصولها إلى حضرة ذي الجلال والإكرام . فعليك أيها السالك بالتشمير في منع النفس عن الهوى وحملها على المجاهدة إن شئت من الله الهدى . قال تعالى : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ وقال أيضاً : ﴿**ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه**﴾[2] .

---

(١) المفردات في غريب القرآن مادة جهد ص (١٠١) .

(٢) الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية (١/ ٤٥٥) .

فالمجاهدة إذاً هي بمعنى آخر تزكية للنفس وفق أصول شرعية ، وارتقاء بها وتربيتها وتطهيرها من الشرك وما يتفرع عنه ، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع عنه ، وتخلقها بأسماء الله الحسنى مع العبودية الكاملة لله تعالى ، وكل ذلك من خلال الاقتداء برسول الله ﷺ .

فالتزكية أو المجاهدة على هذا تطهر وتخلق .

قال الله تعالى : ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم**﴾[٣] .

جاءت هذه الآية بعد قصة الافك ، وبعد الآيات التي نهت عن إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وبعد النهي عن اتباع خطوات الشيطان . وجاءت مثل قوله تعالى : ﴿**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟! والله غفور رحيم**﴾[٤] .

ومجموع ذلك يؤكد ما يلي :

١ ـ إن موانع التزكية من القوة بحيث تتعذر التزكية لولا فضل الله ، وهذا يقتضي بذل الجهد في التزكية ، وسؤال الله إياها ، والإعتماد عليه فيها ، وفي الحديث «اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »[٥] .

---

(٣) سورة النور آية رقم (٢١) .

(٤) سورة النور آية (٢٢) .

(٥) هذا جزء من حديث لزيد بن أرقم ولفظه: «اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها انت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » .
وأخرجه مسلم في صحيحه في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل حديث رقم (٢٧٢٢) ص (٢٠٨٨) والنسائي في الاستعاذة باب الاستعاذة من العجز حديث رقم (٥٤٥٨) وباب الاستعاذة من دعاء لا =

٢ ـ أن من تزكية النفس العفو والصفح عمن أساء إلينا ، لأن الأمر جاء بمناسبة الحديث عن مسطح بن أثاثه الذي كان ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه ، والذي خاض في الافك ، فمنع عنه أبو بكر عطاءه ، فجاءت الآية واعظة ، وعاد أبو بكر إلى سيرته ، وما أرقاه من مقام ! وما أعلى ما يراد من كلمة التزكية والمجاهدة .

٣ ـ إن من تربية النفس وتزكيتها عدم اتباع خطوات الشيطان ، لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر ، وإذن فالتزكية تعني تجنب الفحشاء والمنكر ، وتجنب خطوات الشيطان ، وأولى خطواته الحسد والكبر ، فقد حسد آدم ـ عليه السلام ـ وتكبر عن السجود له .

٤ ـ عدم محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وعدم السير في طريق ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر .

٥ ـ إمساك اللسان عن الاعراض ، وترك المشاركة في كل ما يؤذيها ، إلا إذا توافرت شروط شهادة وتعينت .

هذه القضايا الخمس لها صلة بالتزكية ، فأخذها من موضع واحد في القرآن ، فالتزكية باب واسع وهناك تداخل في موضوعاتها بين الوسائل والغايات والآثار ، فكلها تزكية ، ويشهد لذلك هذه الآيات .

التطهر :

والتطهر للنفس وتزكيتها يأتي من عوامل عدة :

١ ـ هناك نجاسات قلبية ونفسية ، سببها الشرك وما يتفرع عنه . قال تعالى : ﴿**إنما المشركون نجس**﴾ ، وقال : ﴿**ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ، ما لها من قرار**﴾ «فشجرة الشرك تتفرع عنها أغصان كثيرة من العبودية لغير الله ، إلى الانحرافات في الطرق الضالة ، إلى الأخلاق

= يستجاب حديث رقم (٥٥٣٨) وأحمد في المسند (٣٧١/٤) وعبد بن حميد في منتخب المسند برقم (٢٦٧) .

الفاسدة من عجب وكبر ، وحسد وطاعة للطواغيت ، فأول ما يدخل في التزكية تطهير القلب من الشرك وما يتفرع عنه .

٢ ـ يمكن أن يدخل القلب والنفس في ظلمات شتى ، ظلمات النفاق والكفر والفسوق والبدعة ، ظلمات الحيرة والإضطراب ، ظلمات المعاصي والذنوب والآثام . فمما يدخل في التزكية أن يتنور القلب من الظلمات ، فيكون في نور الهداية الربانية ، ويرى الأشياء على ضوء ذلك :

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ ﴿وقد جاءكم بصائر من ربكم﴾ .

وقد وصف الله المنافقين بقوله : **﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾** .

ووصف الله الكافرين بقوله : **﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فلما له من نور﴾** .

فالصمم عن سماع الحق وقبوله ، والعمى عن رؤية الطريق إلى الله عدم ولوجه ، والصمت عن نصرة الحق وإعلان قبوله ـ هي مظاهر ظلمة القلب والنفس ، ومما يدخل في تزكية النفس الخروج من الظلمات .

٣ ـ للنفس شهواتها الكثيرة ، فمنها الحسي كحب الطعام والشراب ، ومنها المعنوي كحب الانتقام ، والرغبة في الإنتصار ، وحب الجاه والظهور ، والرغبة في التفرد ، وبعض الشهوات مباح إذا سلك الإنسان لقضائها طريقاً مشروعاً ، كالزواج لقضاء الشهوة الجنسية ، وبعضها محرم في أصله أو في الطريق التي يسلكها الإنسان لقضائه . فمما يدخل في تزكية النفس تطهيرها من شهواتها المحرمة ، ومن الطرق المحرمة لقضاء الشهوات .

٤ ـ والنفس والقلب يمرضان كما تمرض الأجسام ، فتصاب النفس بأمراض العجب والكبر والغرور والحسد والحقد والغل ، فمما يدخل في تزكية

النفس تطهيرها من الأمراض .

٥ ـ والنفس تتأثر بالبيئة وبالتلقين ، وبالهواجس ، والوسواس ، ونتيجة ذلك قد تتابع الشيطان وقد تأخذ النحل الضالة ، فمما يدخل في تزكية النفس حفظها من هذا الضلال .

إنَّ من عرف هذه الأمور الخمسة عرف ضرورة تطهير النفس ، وعرف أن تطهير النفس يدخل في باب تزكيتها .

التخلق والاقتداء :

لله تعالى المثل الأعلى ، وله الأسماء الحسنى ، وقد خلق الإنسان ، ونفخ فيه من روحه ، أي نفخ فيه روحاً مخلوقة نسبها إلى ذاته تعالى تشريفاً لها ، وبهذه النفخة وجد عند الإنسان استعداداً للتخلق بأسماء الله ، وجد عنده الاستعداد للرحمة والإنتقام والكبرياء والعلو ، والإنسان في هذا المقام مكلف بأمرين :

١ ـ أن يجاهد نفسه فلا ينسب لنفسه شيئاً من خصائص الربوبية ، قال ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى : الكبرياء ردائي . والعزة ازاري ، فمن نازعني فيها قصمته[٦] .

٢ ـ أن يضبط نفسه في الأسماء التي يجوز أو يجب التخلق بها ، على مقتضى العبودية والتكليف فالرحمة والكرم والجود والرأفة والإنتقام والعزة مما يجب أن يكون الإنسان فيه على مقتضى التكليف ، والسائر إلى الله

---

(٦) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ «العز ازاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته » مسلم في البر والصلة باب تحريم الكبر حديث (٢٦٢٠) والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢) من طريق عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي مسلم الأغر ، انه حدثه عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا : فذكراه . وقد جاء من طرق عدة عن أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند (٢٤٨/٢ ، ٣٧٦ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢)، وأبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر (٤٠٩٠) وابن ماجة في الزهد باب البراء من الكبر (٤١٧٤) والحاكم في المستدرك (٦١/١) .

يتحقق بمثل هذه المعاني ، ويتخلق بها وفق ما أمره الله تعالى وهو أول معنى من معاني التخلق .

والتزكية في بدايتها ونهايتها ، لا تخرج عن مقام العبودية ، وأعلى الخلق في مقام العبودية هم رسل الله ، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ .

فالعبودية الكاملة هي الإقتداء به ، وغاية التزكية ونهايتها وراثه رسول الله ﷺ بأن نأخذ الكتاب والسنة بقوة ، فهماً وعملاً ، وأن نتحقق بالحال التي كانت له ـ ﷺ . من خشوع وتوكل وغير ذلك وهو المعنى الثاني من معاني التخلق والاقتداء .

وبعد فالمجاهدة أو تزكية النفس فطمها وحملها على خلاف هواها المذموم ، والزامها تطبيق شرع الله أمراً ونهياً .

أقوال تحث على الاجتهاد واغتنام الأوقات :

ـ جاء عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال :

اغْتَنِمْ رَكعتينِ زُلْفَى إلى اللهِ ... إذا كُنْتَ فارِغاً مُسْتَريحاً
وَإذا ما هَمَمتَ بالنُّطقِ بالباطِلِ ... فاجعلْ مكانَهُ تَسْبيحاً
فاغتنامُ السكوتِ أفضلُ مِنْ ... خوضٍ وإنْ كُنْتَ بالكلامِ فصيحاً[٧]

ـ ومن قول السري السقطي : «يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت » وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة[٨] .

ـ قال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله : المجاهدة في النفس عبادة ، ولا تحصل لأحد إلا بالعلم ، وهي فرض عين على كل مكلف[٩] .

---

(٧) سير اعلام النبلاء (٤١٧/٨) .
(٨) الرسالة القشيرية ص (٤٨) .
(٩) شرح الطريقة المحمدية (٣٢٣/١) .

- يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى : «وحقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتى يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان ، لأنه يجاهد نفسه كذلك في اثناء مجاهدته للناس ، وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبداً وهو قاعد آمن ساكن ، وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبداً بغير هذه الوسيلة ، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته ، وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته ، ما لم يكن ليبلغه أبداً بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة .

وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**﴾ وأول ما تفسد : فساد النفوس بالركود الذي تأسن معه الروح ، وتسترخي معه الهمة ، ويتلفها الرخاء والطراوة ، ثم تأسن الحياة كلها بالركود ، أو بالحركة في مجال الشهوات وحدها . كما يقع للامم حين تبتلى بالرضاء »[10] .

ومن ذلك قول شعبة بن الحجاج البصري أمير المؤمنين في الحديث حاثاً على الاجتهاد في العبادة وعدم الركون إلى الفراغ والدعة ، لأن هناك طالباً حثيثاً يطلب روح الانسان الا وهو الموت يقول رحمه الله : لا تقعدوا فراغاً فإن الموت يطلبكم .

والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها كان أحق بها ، الأخطل يقول في بيتين من الشعر له حاثاً على الاجتهاد واغتنام الأوقات في العمل الصالح ما نصه :

والناس همهم الحياة ولا أرى ... طول الحياة يزيد غير خبالِ
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخراً يكون كصالح الاعمال[11]

---

(١٠) هذا الدين لسيد قطب ص (١٠) .

(١١) ديوان الأخطل (٢٤٨) وعزاهما الطبري في تاريخه (١٨٦/٦) لابن مقبل ، وعزاهما المبرد في الكامل (١٤/٢) للخليل بن أحمد والمرجح أنهما من قصيدة للاخطل .

تفاوت قدرات الناس في الاجتهاد :

إن الناس يتفاوتون في القدرات والاحتمال والصبر على الاجتهاد ، فقد يستطيع أحد الناس احتمال قيام الليل كله ولا يستطيعه آخر ، وقد يستطيع أحدهم الاكثار من قراءة القرآن ولا يستطيع على الصوم ، وقد يستطيع احدهم سرد الصوم ولا يستطيعه آخر . . . وهكذا فالناس متفاوتون في قدراتهم وقوة احتمالهم وهذا ما وضحه ابن مسعود رحمه الله حين سئل عن عدم إكثاره من الصوم فقال أنه يضعفه عن قراءة القرآن وأنه يضعف جسمه وينهكه .

قيل لابن مسعود إنك لتقل الصيام . فقال : إني أخاف أن يضعفني عن القراءة ، والقراءة أحب إلي من الصيام ، رواه سعيد بن منصور باسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح[١٢] .

يضاف إلى هذا أن المؤمن الضعيف في بنيته وقوته وقدرته واحتماله ، إذا حمل نفسه ما يحتمله الأقوياء من المؤمنين انبت وانقطع ، ولكن المؤمن القوي يحتمل قدر طاقته والمؤمن الضعيف يحتمل قدر طاقته ، ولذلك فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا المنهج من أسلوب وطريقة النبي ﷺ في العبادة ، فهو كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ، وفي هذا القيام من النبي مجال للإقتداء به من المؤمنين الأقوياء .

وقد كان يترك العبادة وهو يحبها مخافة أن تفترض على أمته رحمة بالضعفاء في قدراتهم من أمته . وإلا لو كانت عبادة نبينا ﷺ على وتيرة واحدة من القوة ، لم يجد الضعفاء مجالاً للقدوة ، ولو كانت عبادته على وتيرة واحدة من الضعف لما وجد الأقوياء فيه مجالاً للاقتداء ، ونبينا ﷺ لم يبعث مشرعاً لفئة من أمته دون سائر الفئات ، وإنما جاء مشرعاً لأمته ليجد الجميع فيه مجالاً يقتدون به في عبادته ﷺ .

---

(١٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري تعليقاً على حديث رقم (١٩٧٧) من كتاب الصوم (٤/٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

وهـذا ما فهمـه الصحابي تميم الـداري رضي الله عنـه من نهجـه ﷺ ، فأراد أن ينقل الأمانة إلى من بعده من التابعين فأفهمهم هذه الحقيقة :

جاء عن سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن رجل قال : أتيت تميم الداري ، فحدثنا ، فقلت : كـم جزؤك ؟ قال : لعلك من الذين يقـرأ أحدهم القرآن ، ثم يصبح ، فيقول : قد قرأت القرآن في هذه الليلة ، فوالـذي نفسي بيده لأن أصلي ثلاث ركعـات نافلة أحب إلي من أن أقـرأ القرآن في ليلة ، ثم أصبح ، فأخبر به ، فلمـا أغضبني ، قلت : والله إنكم معاشـر صحابـة رسول الله ﷺ من بقي منكم ، لجـديـر أن تسكتــوا . فـلا تعلمــوا وأن تعنفـوا من سـألكم . فلما رآني قـد غضبت ، لان ، وقـال : ألا أحـدثـك يـا ابن أخي ؟ أرأيت ان كنتُ أنـا مؤمنـاً قــوياً ، وأنت مؤمن ضعيف ، فتحمــل قـوتي على ضعفك ، فلا تستطيع ، فتنبت ، اورأيت إن كنتَ أنت مؤمناً قويـاً ، وأنا مؤمن ضعيف حين أحمل قوتـك على ضعفي فلا أستـطيع ، فـأنبت ، ولكن خذ من نفسـك لـدينـك ، ومن دينـك لنفسـك ، حتى يستقيم لـك الأمـر على عبـادة تطيقها[١٣] .

رحم الله أصحاب نبينا ﷺ كم كان فهمهم دقيقاً ، ومنهجهم وطـريقتهم في التفكيـر جميلة ، فهم ينقلون الأمـانـة إلى غيـرهم كيف يفهم الـواحـد من التابعين هدي المصطفى ﷺ .

علاوة على هذا كله فإن للقلوب البشرية حالات من النشاط والاجتهاد ، وحالات من الكسل والفتور والخمود ، فالفطن الكيس الـذي يغتنم فترة نشـاط قلبـه فيجتهد ويقبـل على الله عز وجـل حسبمـا يسعـه الاجتهـاد والبـذل ، ولا يحمـل نفسه وقلبـه فترة كسله فـوق ما يحتمـل فيوصل إلى ملال الخـاطـر ، وكراهية الاجتهاد في طاعة الله تعالى .

يقول ابن مسعود رضي الله عنـه : «إن لهذه القلوب شهـوة وإقبالاً ، وإن

---

(١٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٢) تهذيب ابن عساكر (٣٥٩/٣) تاريخ الإسـلام للذهبي (١٨٩/٢) .

لهـا فترة وإدبـاراً ، فخـذوهـا عنـد شهـوتهـا وإقبـالهـا ، وذروهـا عنـد فتـرتهـا وإدبارها »[١٤] .

فـإعـطاء القلوب مـا تحتمله من الإجتهـاد ، يلزمهـا درب الاستقـامـة ، والفتور والتواني وعدم الإجتهاد يخرجها عن درب الاستقامة أيضاً .

فعبـد الله بن عمرو بن العـاص حين أراد أن يحمل نفسـه فـوق طـاقتهـا وفوق ما تحتمل رده عليه الصلاة والسلام إلى درب الاقتصـاد في عمل يستـطيع تحمله بقوله له : «يا عبد الله بن عمرو إن لكل عامل شره ، ولكـل شرة فتـرة ، فمن كانت فترته إلى سنة أفلح ، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر »[١٥] وسيأتي بيان مزيد من التفاصيل في فصل لاحق إن شاء الله .

---

(١٤) شرح السنة للبغوي (٤/ ٥٩) .

(١٥) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ، ٢١٠) وإسناده صحيح .

الفصل الثاني

« أحوال النبي الحاثة على الاجتهاد »

إن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال . فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضر ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» كما أخرجه النسائي من حديث أنس ، وإن الذي يلفت النظر في ظاهرة تعبده ﷺ أنه استطاع أن يجمع بين العبادة التي بلغ أعلى مراتبها ، وبين القيام على أمور الدنيا وشئون الدعوة ، وقضايا الجهاد .

كان ﷺ يسوس دولة فتية في وجه القوى المتجبرة آنذاك ، يوفد إلى الملوك ويدعوهم ، ويستقبل الوفود ويكرمهم ، ويبعث السرايا ويقودها ، ويجادل من حوله من أهل الأديان وأهل السلطان ، ويهيء للنصر ، ويحتاط للهزيمة ، ويشرع للناس دين الله فيفصل المجمل من الوحي ، ويرسم السنن ، وهو في كل ذلك يؤدي العمل اليومي الذي ينوء به أبطال هذه الدنيا ، وبين هذه المشاغل والهموم ، يطل علينا ﷺ بعبادته ليلاً ونهاراً ، أعظم انقطاعاً إلى الله من أهل الصوامع ومن اعتزل في رؤوس الجبال ، إستطاع ﷺ أن يجمع بين الدين والدنيا ليكون مثلاً يقتدى به وليحقق قول ربه عز وجل ﴿**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾ .

وكيف لا يكون في أعلى مراتب العبادة وهو المنفذ لكل ما أمر به ربه عز وجل ، بل ويصل في تنفيذ أوامر الله تعالى إلى أعلى حظ يتصوره بشر لأنه

أعلى إنسان مثل العبودية لله على الأرض . كيف لا يكون في أعلى مراتب العبادة وهو يسمع ربه عز وجل يأمره بالاجتهاد في الطاعة في قوله : ﴿**بل الله فاعبد وكن من الشاكرين**﴾ .

وقوله : ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ، إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً**﴾ المزمل (١ - ٦)

وقوله : ﴿**ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ الاسراء (٧٩) .

وقوله : ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً**﴾ الدهر (٢٦) .

أبعد هذه الأوامر الإلهية لنبيه ﷺ بأن يجتهد في عبادة ربه يتوانى محمد بعد ذلك حاشا وكلا ، فإن ما أثر عنه عليه الصلاة والسلام ليعطينا أوضح صورة ، بأنه لم يبلغ أحد في عبادة الله وشكره ما بلغه رسول الله ﷺ ، وهل يستطيع أحد أن يتصور أن هذا ممكن الوقوع والحصول بهذا الكمال والجلال ، وبهذه الكثرة والسعة التي رويت عنه في أقواله وأحواله التي سنذكرها بعد قليل ، وبهذا الإنسجام والتوافق مع معرفته العظيمة لله وكمالاته ، لولا أن محمداً رسول الله ﷺ يقوم بأمر الله كأعظم ما يقوم به أحد .

وسنعرض فيما سنورده من بعض الآثار والأحاديث الصحيحة ما يوضح لنا اجتهاد النبي ﷺ في العبادة وأوامره لغيره من أصحابه بأن يجتهدوا وسنقسم هذه الأحاديث إلى قسمين :

القسم الأول : من أوامره الحاثة على الاجتهاد في العبادة .

القسم الثاني : من فعله عليه الصلاة والسلام واجتهاده في العبادة .

وسنورد في هذين القسمين مجموعة من الأحاديث الصحيحة .

القسم الأول : ـ من أوامره الحاثة على الاجتهاد في العبادة :

١ ـ أولياء الله المتحببون إليه بالنوافل بعد الفرائض :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لاعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه »[١] .

يقول الحافظ في الفتح : «إن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وقد جرت العادة أن التقرب يكون غالباً بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف ما يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين »[٢] .

٢ ـ عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل :

ـ من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : «كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ ، إذا رأى رؤيا ، قصها على رسول الله ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ ، قال : وكنت غلاماً شاباً عزباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذالها قرنان كقرني البئر ، وإذا فيها ناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار ، قال : فلقيهما ملك ، فقال لي : لم ترع .

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب التواضع حديث رقم (٦٥٠٢) وشرح السنة للبغوي (٥/١٩) حديث (١٢٤٨) وأبو نعيم في الحلية (١/٤) والبيهقي في الاسماء والصفات (ص ٤٩١) .

(٢) فتح الباري (١١/٣٤٣) .

فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسـول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل .

قال سالم : فكان عبد الله ، بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً »[٣] .

ـ لها قرنـان كقرني البئر : هما الخشبتـان اللتان عليهمـا الخطاف وهي الحديدة التي في جـانب البكرة قـاله ابن دريـد ، وقال الخليـل : هو مـا يبنى حول البئر ويوضع عليـه الخشبة التي يـدور عليها المحـور وهي الحديـدة التي تدور عليها البكرة .

٣ ـ من يوقظ صواحب الحجرات (يعني من أجل قيام الليل) :

ـ من يوقظ صواحب الحجرات (يعني من أجل قيام الليل) .

من حـديث أم سلمـة رضي الله عنهـا قـالت : ـ إن النبي ﷺ استيقظ ليلة ، فقـال : «سبحان الله ، مـاذا أنـزل الليلة من الفتنـة ، ماذا أنـزل من الخزائن ، من يوقظ صواحب الحجرات : يا رب كاسيـة في الدنيـا عاريـة يوم القيامة »[٥] .

قال ابن رشيد : «كأن البخاري ـ رحمه الله ـ فهم أن المراد بالإيقاظ ، الإيقاظ للصلاة لا لمجـرد الاخبار بمـا أنزل ، لأنـه لو كـان لمجرد الاخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنه لا يفـوت . قال : ويحتمـل أن يقال إن لمشاهدة حال المخبر حينئذٍ أثر لا يكون عند التـأخير ، فيكـون الإيقاظ في الحال أبلغ لوعيهن ما يخبرهن به ولسمعهن ما يعظهن به ، ويحتمل أن يكون

---

(٣) البخـاري في التهجد بـاب فضـل قيـام الليـل حـديث (١١٢١ ـ ١١٢٢) وجـاء عنـد البخاري أيضاً بأرقام (١١٥٧ ، ٣٧٣٩ ، ٣٧٤١ ، ٧٠١٦ ، ٧٠٢٩ ، ٧٠٣١) ومسلم في فضائل الصحابة بـاب فضائـل عبد الله بن عمـر حديث رقم (٢٤٧٩) وأحمـد في المسند (٢/١٤٦) .

(٤) تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم (ص ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨) .

(٥) البخاري في التهجد باب تحريض النبي ﷺ على صـلاة الليل والنـوافل من غير ايجاب حـديث (١١٢٦) والترمـذي في الفتن باب مـا جاء ستكـون فتن كقطع الليـل المظلم حديث رقم (٢١٩٦) .

مراد البخاري بقوله (قيام الليل) ما هو أعم من الصلاة والقراءة والذكر وسماع الموعظة والتفكر في الملكوت وغير ذلك »[٦] .

٤ ـ وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً :

ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلي شيئاً ، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً »[٧] .

قال ابن بطال : فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك ، وقال الطبري : لولا علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ، ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكناً ، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى ﴿**وامر أهلك بالصلاة**﴾ الآية[٨] .

٥ ـ غبطة قائم الليل على قيامه :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه

---

(٦) فتح الباري (٣/ ١٠) .

(٧) البخاري في التهجد باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب حديث (١١٢٧) وفي التفسير رقم (٤٧٢٤) وفي الاعتصام (٧٣٤٧) والتوحيد (٧٤٦٥) ومسلم في صلاة المسافرين باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح حديث رقم (٧٧٥) والنسائي في الصلاة باب الترغيب في قيام الليل (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) حديث رقم (١٦١١ ، ١٦١٢) وأحمد في المسند (١/ ٩١ ، ١١٢) وعبد الله في زوائد المسند (١/ ٧٧) من طرق عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب .

(٨) فتح الباري (٣/ ١١) .

الله مالاً ، فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار »[٩] .

٦ ـ أعني على نفسك بكثرة السجود :

ـ من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال : «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ ، فأتيته بوضوئه وحاجته . فقال لي « سل » فقلت : اسألك مرافقتك في الجنة ، قال : أوغير ذلك ؟ قلت : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود »[١٠] .

٧ ـ عليك بكثرة السجود :

ـ عن معدان بن أبي طلحة اليعمري . قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة . أو قال : قلت : بأحب الأعمال إلى الله فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : «عليك بكثرة السجود لله ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » قال معدان : ثم لقيت أبا الدرداء فسألته . فقال لي مثل ما قال ثوبان[١١] .

---

(٩) البخاري في فضائل القرآن باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٥) والتوحيد باب قول النبي ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به حديث (٧٥٢٩) مسلم في صلاة المسافرين باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه حديث (٨١٥) والترمذي في البر باب ما جاء في الحسد (١٩٣٧) وابن ماجة في الزهد حديث (٤٠٢٩) والحميدي (٦١٧) وأحمد في المسند (٢/ ٩ ، ٣٦) من طرق عن الزهري عن سالم عن أبيه .

(١٠) مسلم في الصلاة باب فضل السجود والحث عليه رقم (٤٨٩) وأبو داود في الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ (١٣٢٠) والترمذي في الدعوات (٤/ ٢٣٤) وقال حسن صحيح والنسائي في الصلاة : باب ذكر ما يستفتح به القيام حديث (١٦١٨) وفي اليوم والليلة رقم (٨٦٢) وابن ماجة في الدعاء رقم (٣٨٧٩) وأحمد في المسند (٤/ ٥٧) وابن السني رقم (٧٥٧) .

(١١) مسلم في الصلاة باب فضل السجود والحث عليه (٤٨٨) وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٦) والترمذي في الصلاة باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود وفضله (٣٨٨) وابن ماجة في إقامة الصلاة باب ما جاء في كثرة السجود (١٤٢٣) والنسائي في افتتاح الصلاة باب ثواب من سجد لله عز وجل سجدة حديث (١١٣٩) (٢/ ٢٢٨) .

٨ ـ نهي عن ترك قيام الليل :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل »[١٢] .

وفي هذا الحديث استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط وكراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة[١٣] .

القسم الثاني : من أفعاله وأحواله العملية الحاثة على الاجتهاد في العبادة :

١ ـ أفلا أكون عبداً شكوراً :

من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال :«أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ، فلما كثر لحمه صلى جالساً ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع »[١٤] .

وفي رواية المغيرة بن شعبة أنه قال : إن النبي ﷺ ليقوم ـ أو ليصلي ـ حتى ترم قدماه ـ أو ساقاه ـ فيقال له فيقول : «أفلا أكون عبداً شكوراً » وفي لفظ : قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال :«أفلا أكون عبداً شكوراً »[١٥] .

---

(١٢) البخاري في التهجد باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه حديث (١١٥٢) ، مسلم في الصيام باب النهي عن صوم الدهر (١١٥٩) (١٨٥) ومسند أبي عوانة (٢٩١/٢) .

(١٣) فتح الباري (٣٨/٣) .

(١٤) البخاري في التفسير باب ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر حديث رقم (٤٨٣٧) ومسلم في صفات المنافقين باب إكثار الاعمال والاجتهاد في العبادة (٢١٨٩) (٨٠) وأحمد في المسند (١١٥/٦) .

(١٥) أخرجه البخاري في التهجد باب قيام النبي ﷺ الليل حديث (١١٣٠) والتفسير باب ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر حديث (٤٨٣٦) وفي الرقاق، باب الصبر عن محارم الله حديث (٦٤٧١) ومسلم في صفات المنافقين باب إكثار الأعمال=

وفي رواية أبي هريرة قال : كـان رسول الله ﷺ يصلي حتى تـرم (وفي رواية تنتفخ) قدماه ، قال : فقيل له : اتفعل هذا وقد جاءك : أن الله قد غفـر لك ما تقـدم من ذنبك ومـا تأخـر ؛ قال : «أفلا أكون عبـداً شكوراً » وفي لفظ النسائي عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يصلي حتى تَزْلَعَ يعني تشقق قدماه(١٦) .

«وألفاظ (تورمت، تفـطرت ، تـزلـع ، انتفخت) لا اختـلاف بين هـذه الألفـاظ : فـإنـه إذا حصـل الانتفـاخ أو الـورم حصـل التـزلـع والتشقق والله أعلم »(١٧) .

قال ابن بطال : في هـذا الحديث أخـذ الإنسان على نفسـه بالشـدة في العبـادة وإن أضر ذلـك ببدنـه ، لأنه ﷺ إذا فعـل ذلك مـع علمه بمـا سبق له فكيف بمن لا يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار . انتهى . قـال ابن حجـر : ومحـل ذلـك مـا إذا لم يفض إلى المـلال ، لأن حـال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربـه وإن أضر ذلـك ببدنـه ، بل

= والاجتهـاد في العبـادة حـديث (٢٨١٩) (٧٩) ص (٤/٢١٧١) والحميـدي في مسنده (٢/٣٣٥) برقم (٧٥٩) والترمذي في الصلاة باب ما جاء في الاجتهـاد في الصلاة حديث (٤١٢) والشمائل (١٣٩) والنسائي في الكبرى في الرقائق كمـا في تحفة الأشراف (٨/٤٧٦) وفي الصغرى في قيام الليل باب الاختـلاف على عائشـة في إحياء الليل (٣/٢١٩) حديث رقم (١٦٤٤) وابن ماجة في إقامـة الصلاة بـاب ما جاء في طول القيام في الصلوات حديث (١٤١٩) والطيالسي في مسنده كمـا في تحفـة المعبود (٢/١٢٨) حـديث رقم (٢٤٧٦) وابن حبـان في صحيحـه كمـا في الإحسان (١/٣١٤) حديث رقم (٣١١) وأحمد في مسنده (٤/٢٥١ ، ٢٥٥) .

(١٦) أخرجه الترمذي في الشمائل بـاب ما جـاء في عبادة النبي ﷺ حـديث (١٤٠) وابن مـاجـة في إقـامـة الصـلاة بـاب مـا جـاء في طـول القيـام في الصلوات حـديث رقم (١٤٢٠) وأبـو نعيم في الحلية (٧/٨٦) وابن خـزيمة بـرقم (١١٨٤) وإسنـاده صحيح .
ولفظ النسائي جاء عنده في قيام الليل باب الاختلاف على عائشة في احياء الليل رقم (١٦٤٥) (٣/٢١٩) .

(١٧) فتح الباري (٣/١٥) .

صح أنه قال : وجعلت قرة عيني في الصلاة ، كما أخرجه النسائي من حديث أنس . فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه ، وعليه يحمل قوله ﷺ « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » وفيه مشروعية الصلاة للشكر ، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان كما قال الله تعالى ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾ وقال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة ، أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة ، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئاً فيتعين كثرة الشكر على ذلك ، والشكر الإعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمي شكوراً ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الاجتهاد في العبادة ، والخشية من ربه ، قال العلماء : إنما الزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد والله أعلم »[١٨] .

٢ ـ إحياء النبي ﷺ الليل بأكمله :

من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دحل العشر أحيا الليل وايقظ أهله وجد ، وشد المئزر »[١٩] .

قال النووي في شرح مسلم « استغرقه بالسهر وبالصلاة وغيرها »[٢٠] .

---

(١٨) فتح الباري (٣/١٥) .

(١٩) البخاري في التراويح باب العمل في العشر الأواخر من رمضان (٢٠٢٤) مسلم في الاعتكاف باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (١١٧٤) والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (٣/٢١٧ - ٢١٨) حديث رقم (١٦٣٩) وأبو داود في الصلاة باب قيام شهر رمضان (١٣٧٦) وابن ماجة في الصوم باب فضل العشر الأواخر من شهر رمضان (١٧٦٨) وابن خزيمة (٢٢١٤) وأحمد (٦/٤١ ، ٦٦ ، ٦٧) والترمذي حديث رقم (٧٩٦) .

(٢٠) شرح مسلم للنووي (٨/٧١) .

وقال ابن الاثير في نهاية غريب الحديث : «إحياء الليل : السهر فيه بالعبادة وترك النوم »[٢١] .

وقال ابن حجر في الفتح : وأحيا ليله : سهره فأحياه بالطاعة »[٢٢] .

٣ ـ طول صلاته ﷺ :

من حديث أبي عبد الله حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المئة ، فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه[٢٣] .

٤ ـ هممت أن أجلس وأدعه :

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : «صليت مع النبي ﷺ ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء ، قيل : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه »[٢٤] .

---

(٢١) نهاية غريب الحديث (٢٧٦/١) .

(٢٢) فتح الباري (٢٦٩/٤) .

(٢٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث رقم (٧٧٢) والترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود حديث (٢٦٢) والنسائي في الافتتاح باب الدعاء في السجود (٢٢٤/٢) حديث رقم (١١٣٣) وأبو داود في الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه (٨٧١) وأبو داود الطيالسي رقم (٤١٥ ، ٤١٦) وأحمد في مسنده (٣٩٧/٥) .

(٢٤) البخاري في التهجد باب طول القيام في صلاة الليل حديث (١١٣٥) ومسلم في صلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث (٧٧٣) وأحمد في المسند (٣٨٥/١ ، ٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤٤٠) .

في هذا الحديث : دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده .

٥ ـ طول صلاة النبي وحسنها :

من حديث عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يصلي فيما بين صلاة العشاء الآخرة إلى أن يتصدع الفجر احدى عشرة ركعة يسلم بين كل ثنتين ، ويوتر بواحدة ، ويمكث في سجوده بقدر ما يقرأ احدكم خمسين آية ، فإذا سكت المؤذن الأول لصلاة الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن »[٢٥] .

ـ ومن حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال : لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة ، قال : فتوسدت عتبته أو فسطاطه ، فقام ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين ، طويلتين ، طويلتين ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة[٢٦] .

ـ ومن حديث عوف بن مالك الاشجعي : قال : كنت مع رسول الله ﷺ ليلة ، فاستاك ثم توضأ ، ثم قام يصلي ، فقمت معه ، فبدأ فاستفتح البقرة ،

(٢٥) سلم في صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي حديث (٣٧٦) ومالك في صلاة الليل باب صلاة النبي في الوتر (١/١٢٢) وأبو داود في الصلاة باب صلاة الليل (١٣٣٥) والترمذي في الصلاة باب ما جاء في وصف صلاة النبي بالليل (٤٤٠ ، ٤٤١) النسائي في قيام الليل باب كيف الوتر باحدى عشرة ركعة (٣/٢٤٣) حديث رقم (١٧٢٦) أبو عوانة في المسند (٢/٣٢٦) وأحمد في المسند (٦/٣٥ ، ١٨٢) .

(٢٦) مسلم في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٦٥) وأخرجه الترمذي في الشمائل ص (٢٦٦) مالك في الموطأ في صلاة الليل باب صلاة النبي في الوتر (١/١٥٢) أبو داود في الصلاة باب صلاة الليل (١٣٦٦) والنسائي في الكبرى في الصلاة كما في تحفة الأشراف (٣/٢٣٢) حديث (٣٧٥٣) ابن ماجه في الصلاة باب كم يصلي بالليل حديث (١٣٦٢) .

فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعـوذ ، ثم ركع فمكث راكعاً قـدر قيامه ، ويقـول في ركـوعـه : سبحـان ذي الجبـروت ، والملكـوت والكبريـاء والعظمـة ، ثم سجد بقـدر ركوعـه يقول في سجـوده : سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمـة ، ثم قرأ : آل عمـران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك[٢٧] .

٦ ـ إطالته القيام عليه الصلاة والسلام :

من حديث عائشة رضي الله عنها أن عبـد الله بن شقيق سألهـا عن صلاة رسول الله ﷺ وتطوعه ؟ فقالت : كان يصلي ليلاً طويلاً قـائماً ، وليـلاً طويـلاً قاعداً ، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قـرأ وهو جـالس ، ركع وسجد وهو جالس[٢٨] .

هـذا بعض حال رسـول الله ﷺ في الاجتهـاد في العبـادة قـولاً وأمـراً ، وفعلاً واجتهاداً أورده أصحابه عنه من أجل الاقتداء والعمل . وفيمـا سيأتي من نماذج في اجتهاد السلف الصالح مما يوضح لنا جانباً كبيراً من اقتدائهم بالنبي ﷺ قولاً وفعلاً وهم ما كانوا يحيدون عن اقتدائهم به ولو وقفت الدنيـا بأكملهـا في وجـوههم لازاحوهـا من أجل أن يصلوا إلى القـدوة بمحمـد عليـه الصـلاة والسلام .

وهذا احد الاصحاب جاء وصفه من أحد التابعين :

عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر قال : كان ابن عمـر إذا

---

(٢٧) الترمذي في الشمائل ص (٣٠٦) أبو داود في الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٧٣) والنسائي في الافتتاح باب الـدعاء في السجـود (٢/٢٢٣) حديث رقم (١١٣٢) وسنده صحيح .

(٢٨) مسلم في صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقـاعداً حـديث (٧٣٠) وأبو داود في الصلاة باب في صلاة القاعد حديث رقم (٩٥٥) والترمذي في الصـلاة باب مـا جاء في الرجل يتطوع جالساً برقم (٣٧٥) النسائي في قيام الليل وتطوع النهار بـاب كيف يفعل إذا افتتح الصـلاة قائمـاً حديث (١٦٤٦) ص (٣/٢١٩) ابن مـاجة في الصلاة باب في صلاة النافلة قاعداً حديث (١٢٢٨) وأحمد في المسنـد (٦/٣٠ ، ٩٨ ، ١١٣) .

سمع من رسول الله ﷺ حديثاً لم يعده ولم يقصر دونه، وفي لفظ كان ابن عمر إذا سمع النبي ﷺ لم يزد فيه ، ولم ينقص منه ، ولم يجاوزه ، ولم يتقصر عنه[٢٩] .

والوصف بأن ابن عمر لم يكن يتعد الذي يرده عن رسول الله لا نقصاً ، ولا زيادة ولا تجاوزاً ، ولا تقصيراً ، فيه دليل على تمام الاقتداء والمحبة لنبيه ﷺ .

---

(٢٩) ابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة رسول الله ﷺ حديث (٤) والدارمي (١/ ٩٣) وأحمد في المسند (٢/ ٤٢ ، ٢٨٨ ، ١٠٢) وإسناده صحيح .



الفصل الثالث

« نماذج من نهيه عليه السلام عن المبالغة في العبادة »
« وأسباب ذلك »

إن الله قد امتن على أمة الإسلام على أن جعل شريعة الإسلام شريعة يسر ، فهي حنيفية في العقيدة سمحة في التكاليف . ورفع الآصار والتكاليف الشديدة عن هذه الأمة ، وما خصها الله تبارك وتعالى في شريعتها من اليسر والسماحة والسهولة ، لأنه أراد لهذه الرسالة أن تكون للناس كافة والأقطار جميعاً ، والأزمان قاطبة ، ورسالة هذا شأنها من العموم والخلود لا بد أن يجعل الله الحكيم في ثناياها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال ، وحاجات العصور ، وشتى البقاع .

وهذه الأمور واضحة في شريعة الإسلام عامة ، وفي العبادات خاصة .

وقد جاءت هذه الأمور من خلال نصوص قرآنية عديدة وأحاديث نبوية صحيحة نذكر من بينها :

قال الله تعالى : **﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾** سورة الأعراف آية (١٥٧) .

وقوله : **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾** الحج آية (٧٧ ـ ٧٨) .

وقوله : ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون**﴾ المائدة آية (٦) .

وقوله : ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة آية (١٨٥) .

وقوله : ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ النساء آية (٢٨) .

وأما الأحاديث الصحيحة التي تأمر بالتيسير وعدم التعسير ورفع الحرج عن أمة الإسلام فقد جاء كثير منها ، نورد بعضها : ـ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : يسروا ، وسكنوا ، ولا تنفروا[1] .

وفي حديث أبي موسى الأشعري حين بعثه النبي ﷺ هو ومعاذ بن جبل إلى اليمن أوصاهما قائلاً : «يسرا ، ولا تعسرا ، وبشرا ، ولا تنفرا ، وتطاوعا »[2] وكان من وصفه عليه الصلاة والسلام التيسير واختيار أيسر الأمور في حياته عليه الصلاة والسلام :

جاء من حديث عائشة رضي الله عنها : قالت : «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فان كان إثماً كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها »[3] .

---

(١) البخاري في العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا حديث رقم (٦٩) والأدب باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا حديث رقم (٦١٢٥) ومسلم في الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث (١٧٣٤) وأحمد في المسند (١٣١/٣) .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث رقم (٤٣٤١) (٤٣٤٢) (٤٣٤٤ ، ٤٣٤٥) (٦١٢٤) الادب ومسلم في الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٧٣٣) والطيالسي برقم (٤٩٦) وأحمد في المسند (٤١٢/٤ ، ٤١٧) .

(٣) البخاري في المناقب باب صفة النبي ﷺ حديث رقم (٣٥٦٠) وفي الادب باب قول =

ورفع الإسلام الحرج عن أمة التوحيد . وذم التشدد لسببين رئيسين ذكرهما الإمام الشاطبي في الموافقات :

الأول : الخوف من الانقطاع في الطريق ، وبغض العبادة ، وكراهة التكليف ، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله .

والثاني : خوف التقصير في الواجبات الأخرى ، عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالمكلف المختلفة الأنواع ، مثل قيامه على أهله وولده ، إلى تكاليف أخرى ، فربما كان التوغل في بعض الأعمال شاغلاً عنها ، وقاطعاً بالمكلف دونها ، وربما أراد أن يقوم بهذه وتلك على المبالغة في الاستقصاء فانقطع عنهما معاً(٤) .

والله تعالى لا يريد أن يبغض الطاعة إلى عباده ، وإنما يريد أن يحببها لهم ، فحمل النفس على أمر لا تطيقه بعث للملل والكراهية للطاعة والله عز وجل يقول : ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم**﴾ الحجرات الآيتين (٧ ـ ٨) .

والله تباركت اسمائه لم يأمر بطاعة ، ولا بعمل صالح ، والاجتهاد فيه على حساب تضييع الحقوق الشرعية التي أمر الله تعالى أيضاً بأدائها ، فإن المرء لا بد أن يؤدي حق زوجته عليه وكذا الزوجة تؤدي حقوق زوجها عليها ،

= النبي يسروا ولا تعسروا . وكان يحب التخفيف والتسرِّي على الناس حديث (٦١٢٦) والحدود باب إقامة الحدود (٦٧٨٦) وباب كم التعزير والأدب (٦٨٥٣) ومالك في الموطأ كتاب حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق (٢/٩٠٢ ـ ٩٠٣) حديث رقم (٢) ومسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام حديث (٢٣٢٧) وأبو داود في الأدب باب التجاوز في الأمر (٤٧٨٥) (٤٧٨٦) وأحمد في المسند (٦/١١٤ ، ١١٥ ـ ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٨١ ـ ١٨٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢) من طرق عدة عن عروة عنها .

(٤) الموافقات للشاطبي (٢/١٣٦) وما بعدها .

وحقوق ومصالح الآخرين من ضيف وزائـر وجار وقـريب . فليس الإجتهاد في الطاعة هو الذي يضيع الحقوق الشرعية ، وإنمـا أمر الله تعـالى بأداء الأعمـال والوظائف الشرعية التي أمره بها دون تضييع بعضها على حساب البعض الآخر وإنمـا القيام بجميعهـا على وجه لا يخـل بواحـدة منهـا ولا بحـال من أحـوال الإنسان فيها .

ولهذا نجد النبي ﷺ قد نهى بعض أصحابه عن المبالغة في الإجتهاد ، لأنهم ضيعـوا مع اجتهـادهم حقوقـاً أخـرى يجب أن تؤدى كمـا سنـلاحظ من النماذج التي سنوردها فيما يلي :

(١) الحولاء بنت تويت ومبالغتها في الاجتهاد ونهي النبي لها :

من حـديث عائشـة رضي الله عنهـا قـالت : دخـل علي رسـول الله ﷺ وعنـدي امرأة ، فقـال : من هـذه ؟ فقلت : امـرأة لا تنـام ، تصلي . قـال : «عليكم من العمل بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » وكـان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه .لفظ مسلم[٥] .

وقد جاء التصريح باسم هذه المـرأة وأنها الحـولاء بنت تويت في روايـة أخرى .

يقـول الحافظ في الفتـح : وهذا النهي من الـرسـول ﷺ للحـولاء بنت

---

(٥) أخرجه البخاري في الإيمان باب أحب الدين إلى الله أدومه حـديث (٤٣) وفي التهجد بـاب ما يكـره من التشديـد في العبادة حـديث (١١٢١) ومسلم في صلاة المسـافرين بـاب أمـر مـن نعـس فـي صلاته أو استعجم عليه القـرآن أو الذكـر بأن يـرقد حـديث (٨٧٥) والتـرمذي في الأدب بعـد الحديث (٢٨٦٠) وفي الشمـائـل بـرقم (٣٠٤) والنسـائي في صلاة الليـل باب الاختـلاف على عـائشـة في إحيـاء الليـل (٢١٨/٣) حـديث رقم (١٦٤٢) وفي الإيمان بـاب أحب الـدين إلى الله عـز وجـل (١٢٣/٨) حـديث رقم (٥٠٣٥) وابن مـاجـة في الـزهـد بـاب المـداومـة على العمـل حـديث (٤٢٣٨) والبيهقي في الصلاة باب القصد في العبادة والجهد في المداومة (١٧/٣) ومـالك في المـوطأ صـلاة الليل بـاب ما جـاء في صـلاة الليـل (١١٨/١) رقم (٤) وأحمد في المسند (٥١/٦ ، ١٩٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٧) .

تويت فيه إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور والملال من فاعله ، لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعاً عما بذل لربه من نفسه .

وقد سئل الشافعي رحمه الله عن قيام جميع الليل فقال : لا أكرهه إلا لمن خشي أن يضر بصلاة الصبح[6] .

وفي هذا الحديث لم يمنع النبي ﷺ الحولاء بنت تويت من كثرة الصلاة بل أجاز لها ذلك بحسب الطاقة وحتى لا تصل إلى الملل والفتور .

(٢) زينب بنت جحش وحبلها المعلق في المسجد :

من حديث أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين ، فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت . فقال النبي ﷺ : **«لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد»**[7] .

وفي منع النبي ﷺ لزينب مما كانت عليه من العمل، من تعليق الحبل في المسجد، والتعلق به عند الفتور، لأنها كانت تصل إلى حالة الفتور والملل، وهي الحالة التي لا بد للإنسان أن يستريح عندها، ولا يواصل عبادته لأنها يخشى عليها حينذاك أن تعود عن العبادة التي كانت تعبدها، وتفرط فيها وهذا مما لا نزاع فيه أنه لا يجوز العمل عند هذه المرحلة .

(٣) النفر الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ :

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط قال :

---

(٦) فتح الباري (٣/٧٣) .

(٧) البخاري في التهجد باب ما يكره من التشديد في العبادة حديث (١١٥٠) ومسلم في صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته حديث (٧٨٤) وأبو داود في الصلاة باب النعاس في الصلاة حديث (١٣١٢) والنسائي في قيام الليل باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (٣/٢١٨) حديث رقم (١٦٤٣) وابن ماجة في الإقامة باب ما جاء في المصلي إذا نعس حديث (٣٧١) وأبو عوانة في المسند (٢/٢٩٧ ـ ٢٩٨) وأحمد في المسند (٣/١٠١) من طرق عن أنس رضي الله عنه .

جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »[٨] .

(٤) أبو الدرداء وتضييعه لحق زوجته عليه :

من حديث أبي جحيفة أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبي الدرداء ، قال : فجاء سلمان يزور أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبتلة ، فقال : ما شأنك ؟ قالت : إن أخاك ليست له حاجة في الدنيا ، فلما جاء أبو الدرداء ، رحب به سلمان ، وقرب إليه طعاماً ، فقال له سلمان : اطعم . قال : إني صائم ، قال : أقسمت عليك ألا طعمت ، فاني ما أنا بآكل حتى تأكل قال : فأكل معه وبات عنده ، فلما كان من الليل ، قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ، ثم قال : يا أبا الدرداء ، إن لربك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، أعط كل ذي حق حقه ، صم وأفطر ، وقم ونم ، وائت أهلك ، فلما كان عند الصبح ، قال : قم الآن ، فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة ، فلما صلى النبي ﷺ ، قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان ، فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان[٩] .

---

(٨) البخاري في النكاح باب الترغيب في النكاح حديث (٥٠٦٣) والبيهقي (٧٧/٧) من طريق حميد الطويل عن أنس ، ومسلم في النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه حديث (١٤٠١) والنسائي في النكاح باب النهي عن التبتل (٦٠/٦) حديث رقم (٣٢١٧) وأحمد في المسند (٢٤١/٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥) والبيهقي (٧٧/٧) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس .

(٩) البخاري في الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (١٩٦٨) والأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف (٦١٣٩) والترمذي في الزهد باب أعط أهل ذي حق حقه (٢٤١٥) .

وفي هذا الحديث جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة ، أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور .

(٥) قصة عبد الله بن عمرو بن العاص ونهي النبي له عن المبالغة في الاجتهاد الموصل إلى الخلل :

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : «أُخبر رسول الله ﷺ أنه يقول : لأقومن الليل ولأصومن النهار ، ما عشت . فقال رسول الله ﷺ آنت الذي تقول ذلك ؟ فقلت له : قد قلته ، يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام ، فإن الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر قال : قلت : فاني أُطيق أفضل من ذلك قال : صم يوماً وافطر يومين ، قال : قلت : فاني اطيق أفضل من ذلك يا رسول الله قال : صم يوماً وأفطر يوماً ، وذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام ، قال : قلت : فاني أطيق أفضل من ذلك ، قال رسول الله ﷺ : لا أفضل من ذلك » .

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : «لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي » .

وفي رواية قال : كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة . قال : فأما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إلي فأتيته . فقال لي : «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة » فقلت : بلى ؛ يا نبي الله ! ولم أرد بذلك إلا الخير ، قال : «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » قلت : يا نبي الله ! إني أُطيق أفضل من ذلك . قال : «فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً ، قال : «فصم صوم داود نبي الله ﷺ فإنه كان أعبد الناس » قال : قلت : يا نبي الله ! وما صوم داود ؟ قال : «كان يصوم يوماً ويفطر يوماً » قال : « واقرأ القرآن في كل شهر » قال : قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك . قال: « فاقرأه في كل عشرين » قال : قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك . قال : «فاقرأه في كل عشر » . قال :

قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذلك . قال : «فاقرأه في كل سبع ، ولا تزد على ذلك ، فان لزوجك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً » قال : فشددت فشدد علي . قال : وقال لي النبي ﷺ : إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر ، قال : حضرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ . فلما كبرت وددت اني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ .

وفي رواية : «لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد ، لا صام من صام الأبد» .

وفي رواية : قال : قال لي رسول الله ﷺ : ألم أخبر انك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت : إني أفعل ذلك . قال : «فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك . ونفهت نفسك ، لعينك ، ولنفسك حق ، ولاهلك حق ، قم ونم ، وصم وأفطر » .

وفي رواية : «قال لي رسول الله ﷺ . يا عبد الله بن عمرو ! بلغني إنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل . فإن لجسدك عليك حظاً ، ولعينك عليك حظاً ، وإن لزوجك عليك حظاً ، صم وأفطر ، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صيام الدهر » قلت : يا رسول الله ! بي قوة . قال : «فصم صوم داود عليه السلام صم يوماً وأفطر يوماً » .

فكان يقول : يا ليتني ! أخذت بالرخصة . هجمت عينك ، ضعفت لكثرة السهر(١٠) .

---

(١٠) البخاري في التهجد باب من نام عند السحر حديث (١١٣١) وباب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه حديث (١١٥٢) وحديث (١١٥٣) ، وفي الصوم باب حق الضيف في الصوم (١٩٧٤) وباب حق الجسم في الصوم (١٩٧٥) وباب صوم الدهر (١٩٧٦) وباب حق الأهل في الصوم (١٩٧٧) وباب صوم يوم وإفطار يوم (١٩٧٨) وباب صوم داود حديث (١٩٧٩) وحديث (١٩٨٠) وفي الأنبياء باب ولقد آتينا داود زبوراً حديث (٣٤١٨) وحديث (٣٤١٩) وباب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود (٣٤٢٠) وفي فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن حديث (٥٠٥٢) و(٥٠٥٣) و(٥٠٥٤) وفي النكاح باب =

وحديث عبد الله بن عمرو هذا فيه أمور عدة :

الأول : ـ علم الرسول ﷺ من حال عبد الله بن عمرو أنه لن يتمكن من الدوام على ذلك الاجتهاد المضني في العبادة وبما كان قد التزمه في نفسه فهداه إلى سبيل الرخصة ، وعلله بأن لنفسه عليه حقاً ولأهله عليه حقاً فدل على أن الاجتهاد المورث الملال والضعف والخلل ممنوع وهذا يتضح لنا من قول عبد الله بن عمرو (يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ) .

يقول الإمام النووي رحمه الله : معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله لعجزه ، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له ، فتمنى أن لو قبل الرخصة فأخذ بالأخف[11] .

ويقول الحافظ ابن حجر معلقاً على كلام النووي : ومع عجزه (يعني الصحابي) وتمنيه الأخذ بالرخصة لم يترك العمل بما التزمه ، بل صار يتعاطى فيه نوع تخفيف كما في رواية حصين المذكورة « وكان عبد الله حين ضعف وكبر يصوم تلك الأيام كذلك يصل بعضها إلى بعض ثم يفطر بعد تلك الأيام فيقوى بذلك ، وكان يقول : لأن أكون قبلت الرخصة أحب إلي مما عدل به لكنني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره »[12] .

= لزوجك عليك حق حديث (٥١٩٩) وفي الأدب باب حق الضيف حديث (٦١٣٥) وفي الاستئذان باب من ألقي له وسادة حديث (٦٢٧٧) .
ومسلم في الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت حقا ولم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم حديث (١١٥٩) من أرقام (١٨١ ـ ١٩٣) الجزء الثاني من صفحة (٨١٢ ـ ٨١٨) .
وأبو داود في الصوم باب في صوم الدهر (٢٤٢٧) والترمذي في الصوم باب ما جاء في سرد الصوم (٧٧٠) والنسائي في الصيام (٤/ ٢١٢) حديث رقم (٢٣٨٨) (٤/ ٢١٥) حديث رقم (٢٤١٣) .
وأحمد في المسند (٢/ ١٥٨ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٢٥) والبيهقي في السنن (٤/ ٢٩٩) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٨٥ ـ ٨٧) من طرق عدة عن عبد الله بن عمرو

(١١) شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٣) .

(١٢) فتح الباري (٤/ ٢٢٠) .

الثـاني : ـ ومن الأسباب التي جعلت النبي ينهى عبـد الله بن عمـرو بن العاص عن هذه المبالغة في الاجتهاد في العبادة أن اجتهـاده أوصله إلى ضياع الحقـوق الشرعيـة المترتبـة عليه تجـاه زوجتـه ، إذ أنـه أضـاع حقـوق زوجتـه الشـرعية في المعـاشرة الـزوجية كمـا جاء في إحـدى روايات الإمـام البخاري للحديث كما جاء في فضائل القرآن باب في كم يقرأ القـرآن من رواية مجـاهد عن عبد الله بن عمرو قـال : انكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهـد كنته فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعم الـرجل من رجـل ، لم يطأ لنـا فراشـاً ، ولـم يفتش لنا كنفاً منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ ، فقـال : القني به فلقيته بعـد وذكر الحـديث وزاد النسائي وابن خـزيمة وسعيـد بن منصور من طريق أخـرى عن مجاهـد : فوقـع علي أبي فقال : زوجتـك امرأة فعضلتهـا وفعلت وفعلت وفعلت ، قـال : فلم التفت إلى ذلك لمـا كـانت بي من القـوة فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : القني به ، فأتيته معه . . »[١٣] فكل ما يوصل إلى هذه الحـال من ضياع الحقوق الشرعية فهو منهي عنه .

الأمر الثالث : إن النبي ﷺ مع كراهته له التشديد على نفســه حثه على ملازمة العبادة بما لا يخل مع ما سبق من الأمور والحقوق الشرعية :

يقول الحافظ في الفتح : في الحديث جواز تحدث المرء بما عـزم عليه من فعل الخير ، وتفقـد الامام لامـور رعيته كليـاتها وجـزئياتهـا ، وتعليمهم ما يصلحهم ، وفيه تعليل الحكم لمن فيه أهليه ذلك وأن الأولى في العبادة تقديم الواجبات على المندوبات ، وأن من تكلف الزيادة على مـا طبع عليـه يقع لـه الخلل في الغالب وفيه الحض على ملازمة العبادة لأنه ﷺ مع كراهته التشديد على نفسه حضه على الاقتصاد كأنـه قال لـه ولا يمنعك اشتغـالك بحقوق من ذكر أن تضيع حق العبادة وتترك المندوب جملة ولكن اجمع بينهما[١٤] .

---

(١٣) فتح الباري (٢١٨/٤) (٩٤/٩) حديث رقم (٥٠٥٢) .
(١٤) فتح (٣٩/٣) .

ـ متى تكون المبالغة في العبادة منهي عنها :

وبعد هذه النماذج لا بد من وضع ضوابط وقواعد واضحة المعالم تحدد متى يكون الاجتهاد في العبادة منهي عنه ومتى يكون مأموراً به ، ونحن نعلم أنه ما من عمل يخلو من مشقة مهما كان هذا العمل بسيطاً ، بل ان كثيراً من الأعمال الدنيوية المجردة بما فيها من كسب المعاش فيها مشقة وجهد وكلفة ، بل كلف لا تخفى لكنها لا تخرج بأي حال من الأحوال عن حدود المعتاد ولا يتقاعس الناس من أجلها عن العمل ، غير أن الذي يقال في هذه المشاق المبذولة ، والمعتادة إنها لا تجري على وزن واحد فتخضع لنوع العمل وحال المكلف والظروف المكانية والزمانية ففي مجال العبادات ـ مثلاً ـ ليست المشقة في صلاة الفجر كالمشقة في صلاة الظهر ، ولا المشقة في الصلاة كالمشقة في الصيام ، ولا المشقة في الصيام كالمشقة في الحج ، ولا المشقة في ذلك كله كالمشقة في الجهاد ، وقل نحو ذلك في جميع أعمال التكليف ذلك أن كل عمل في نفسه له مشقة معتادة فيه توازي مشقة مثله من الأعمال العادية فلم تخرج عن المعتاد في الجملة .

وكما تتفاوت الأعمال فيما بينها في ذاتها كذلك يأتي الاختلاف بسبب اختلاف الظروف الزمانية والمكانية فليس إسباغ الوضوء في زمن الشتاء كاسباغه في الزمن المعتدل ولا القيام إلى الصلاة في قعر الليل أو في شدة البرد مثله حين طوله واعتداله(١٥) .

وأما المشقة غير المعتادة فقد وضع لها الإمام الشاطبي في الموافقات ضوابط تضبطها ، والمشقة غير المعتادة هي التي يصفها الإمام الشاطبي بأنها تشوش على النفوس في تصرفها ويقلقها هذا العمل بما فيه من المشقة(١٦) . ولو أردنا ضبط ذلك فيمكن بالنظر في العمل وما يؤدي إليه اداؤه أو الدوام عليه من الانقطاع عنه أو عن بعضه أو من وقوع خلل في صاحبه في نفسه أو ماله أو

---

(١٥) الموافقات للشاطبي (٢/١١١ ـ ١١٢) بشيء من التقديم والتأخير .
(١٦) الموافقات (٢/٨٤) .

حال من أحواله . فإن لم يكن فيه شيء من ذلك في الغالب فلا يعد في العادة مشقة وإن سمي كلفة[١٧] .

ومما تقدم من كلام الشاطبي يتضح وجود أحد أمرين : الانقطاع عن العمل أو وقوع الخلل وبزيادة توضيح للأمر يتضح ما يلي :

الانقطاع عن العمل : ولا يتحقق الانقطاع عن العمل إلا بأحد أمرين :

الأول : السآمة والملل وهذا ما جاء في نهيه ﷺ للحولاء بنت تويت بقوله «خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا»، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في قوله حين كبر : يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ .

الثاني : ـ الإنقطاع بسبب تزاحم الحقوق فإنه إذا أوغل في عمل شاق فربما قطعه عن غيره ولا سيما حقوق الغير التي تتعلق به فتكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعاً لما كلفه الله به فيقصر فيه فيكون بذلك ملوماً لا معذوراً ، إذ المطلوب منه القيام بجميعها على وجه لا يخل واحد منها ولا بحال من أحواله فيها كما جاء في حديث أبي الدرداء وسلمان وقد يعجز الموغل في بعض الأعمال عن الجهاد أو غيره وهو من أهله كما جاء في إحدى روايات حديث عبد الله بن عمرو عن داود أنه (كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى» . ومن هنا يظهر عله النهي عن الايغال في العمل وأنه يسبب تعطيل وظائف كما أنه يسبب الكسل والترك ويبغض العمل ، فإذا وجدت الصلة أو كانت متوقعة نهي عن ذلك وإن لم يكن شيء من ذلك فالإيغال فيه حسن . وقد يكون الدافع إلى الإيغال هو الخوف أو الرجاء أو المحبة .

وأما وقوع الخلل : فإن العمل الخارج عن المعتاد قد يؤدي إلى وقوع خلل في المكلف وهذا الخلل قد يكون في النفس سواء بأمراض بدنية أو

---

(١٧) الموافقات (٢/ ٨٧) .

نفسية ، فإذا علم المكلف أو ظن أنه يدخل عليه في جسمه أو نفسه أو عقله أو عادته فساد يتحرج به ويعنته ويكره بسببه العمل فهذا أمر ليس له ، وكذلك إن لم يعمل بذلك ولا ظن ، ولكنه لما دخل في العمل دخل عليه ذلك فحكمه الإمساك عما دخل عليه المشوش مثل حال عبد الله بن عمرو بن العاص وتمنيه لو أنه قبل رخصة رسول الله ﷺ له في بداية حياته[١٨] .

وقد وضح الإمام أبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي في كتابه إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة قواعد وضوابط للاجتهاد في الطاعة وكثرة ذلك فقال ما نصه :

وخلاصة المرام في هذا المقام هو الذي اختار تبعاً للعلماء الكرام أن قيام الليل كله ، وقراءة القرآن في يوم وليلة مرة ومرات ، وأداء ألف ركعات أو أزيد من ذلك ، ونحو ذلك من المجاهدات والرياضات ليس ببدعة ، وليس بمنهي عنه في الشرع ، بل هو أمر حسن مرغوب إليه لكن بشروط :

أحدها : أن لا يحصل من ذلك ملال الخاطر ، يفوت به التذاذ العبادة وحضور القلب ، يؤخذ ذلك من حديث (ليصل أحدكم نشاطه) ، أي مدة نشاط خاطره وسرور طبيعته .

ثانيها : ـ أن لا يتحمل بذلك على نفسه مشقة لا يمكن له تحملها بل يكون ذلك مطاقاً له ، يؤخذ ذلك من حديث (عليكم من الأعمال ما تطيقون) .

ثالثها : ـ أن لا يفوت بذلك ما هو أهم من ذلك ، مثلاً إن كان قيامه بالليل يفوت صلاة الصبح لا يجوز له قيام الليل كله ، فإن أداء الفرض أهم من أداء النوافل ، ويدل عليه ما أخرجه مالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة قال : إن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح ، وإن عمر غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق ، فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها : لم أر سليمان في الصبح ، فقالت : إنه بات

---

(١٨) لمزيد من التفاصيل والتوضيحات أنظر الموافقات للشاطبي (٢/٩٦ ـ ١٠٣) .

يصلي فغلبته عيناه فقال عمر : لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة . وكذلك من يقوم الليل ويسرد الصوم إن كان ذلك بحيث يفوت منه حضور الجماعات وصلاة الجنائز ونشر العلم بالتدريس ونحو ذاك ، لا ينبغي له ذلك .

ورابعها : ـ أن لا يفوت بذلك حق من الحقوق الشرعية كحق الأهل والأولاد والضيف وغير ذلك كما هو في حالة عبد الله بن عمرو وأبي الدرداء .

وخامسها : ـ أن لا يكون في ذلك ابطال للرخص الشرعية بحيث يعد الترخيص الشرعي باطلاً والعامل بالرخص عاطلاً ويؤخذ هذا من حديث الصحابة الذين سألوا عن عبادة النبي فتقالوها .

وسادسها : ـ أن لا يكون فيه إيجاب ما ليس بواجب في الشرع وتحريم ما لم يحرم في الشرع .

وسابعها : ـ أن يوفي أركان العبادات حظها ، فلا يجوز أن يكثر من ركعات الصلاة ويؤديها كنقر الديك ، أو يكثر قراءة القرآن من غير تدبر وترتيل ونحو ذلك .

وثامنها : ـ أن يدوم على ما يختار من العبادة لا يتركه إلا لعذر يؤخذ ذلك من قوله عليه السلام (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) أخرجه مسلم من حديث عائشة وقوله عليه السلام (يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل) .

وتاسعها : ـ أن لا يكون اجتهاده مورثاً للملال إلى أحد من المسلمين كأن يجتهد في قراءة السور الطوال أو تمام القرآن في صلاة الجماعة فإن ذلك مما يورث ملال المقتدين ، فإن فيهم الضعيف والسقيم وصاحب الحاجة .

وعاشرها : ـ أن لا يكون اجتهاده مورثاً إلى اعتقاد أنه أفضل عملاً مما كان عليه رسول الله ﷺ وأكثر أصحابه من تقليل العمل .

فمن وجدت فيه هذه الشروط فالتشدد في العبادة أحق له ، وأصحاب

الرياضات السابقين كانوا جامعين لهذه الشروط فجاز لهم ذلك ، ولم ينكر عليهم أحد ذلك ، ومن فات له شرط منها فالاقتصاد في العمل والتوسط أليق له ، هذا هو الطريق الوسط الذي يرتضيه كل منصف لا إفراط فيه ولا تفريط مما يذهب إليه كل متعسف[١٩] .

وبعد ما أسلفنا من الحديث والقواعد والضوابط نعلم أن من طبق هذه الضوابط والقواعد في اجتهاده ، فلا بأس بمبالغته في الإجتهاد ، والسلف الصالح رضوان الله عليهم ممن كانوا يطبقون هذه القواعد والضوابط في خاصة أنفسهم ولا يضيعون حقاً ، وبذلك نعلم أنهم ما خالفوا منهجية الرسول ﷺ حين أمر بالشديد والمقاربة وأن يصلي الانسان فترة نشاطه ويقعد عن الاجتهاد إذا وصل إلى حالة تخالف ما ذكرنا من ضوابط وقد جاء عن رسول الله ﷺ :

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ـ قال النبي ﷺ : «إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». وفي رواية «لن يدخل أحداً عمله الجنة»، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة ، فسددوا وقاربوا ، ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله ان يزداد خيراً ، وإما مسيئاً فلعله ان يستعتب » وفي رواية «سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا »[٢٠] .

قال ابن المنير : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع ، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال ، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل ، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر

---

(١٩) إقامة الحجة (١٤٧ ـ ١٥٣) بشيء من التصرف .

(٢٠) البخاري في الإيمان باب الدين يسر حديث رقم (٣٩) وكتاب المرض باب تمني المريض الموت حديث (٥٦٧٣) والرقاق باب القصد والمداومة على العمل حديث (٦٤٦٣) والنسائي في الإيمان (١٢١/٨ ـ ١٢٢) حديث رقم (٥٠٣٤) .

الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة ، أو إلى أن خرج الوقت المختار ، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة[٢١] .

وبهذا يتبين لنا أن النبي ﷺ لم يمنع من طلب الأكمل في العبادة بل جعله من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال والمبالغة في المندوبات المؤدية إلى ترك الواجبات فمن كان فيه قوة وجلد على أن يأتي بالحقوق جميعها ويقوم بالمندوبات ويزيد في التطوع فليس هناك من حائل يحول بينه وبين هذا الأمر وهذا هو حال من سنذكر من سلفنا الصالح رضوان الله عليهم والله الموفق للصواب .

---

(٢١) فتح الباري (١/ ٩٤) .

الباب الثاني

العبادات المجتهد فيها

وفيه خمسة فصول :

- **الفصل الأول : الصلاة وفضل قيام الليل ، نماذج من اجتهاد السلف في عبادة الصلاة .**
- **الفصل الثاني : الصيام وآثاره التربوية ، نماذج من اجتهاد السلف في عبادة الصيام .**
- **الفصل الثالث : القرآن وآثاره التربوية ، نماذج من اجتهاد السلف في قراءة القرآن .**
- **الفصل الرابع : الحج وأثره النفسي والتربوي ، نماذج من اجتهاد السلف في الحج .**
- **الفصل الخامس : الخوف ، نماذج من خوف السلف الصالح رضوان الله عليهم من الله .**

الفصل الأول

« الصلاة وقيام الليل »

إن الصلاة التي يريدها الإسلام هي الصلاة التي تمد المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون**﴾ البقرة (٤٥ ـ ٤٦) . هي الصلاة التي تربط النفوس بقوة الله العظمى التي تملك كل شيء ، هي الصلاة التي تبث في النفس القوة والقدرة على احتمال المعاناة في الحياة .

هي الصلاة التي يبث العبد المؤمن فيها شكواه وحزنه إلى ربه عز وجل فيشعر بالسكينة والرضا والطمأنينة تعم قلبه وجوارحه هي الصلاة التي تولد الطاقة في قلب العبد المؤمن للنشاط والجد والعمل والإجتهاد وليقترب من ربه أكثر فأكثر ، وليقوى على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر هي التي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى ورعاية حدوده وكتاب ربنا عز وجل مليء بالآيات التي تبين أن الصلاة المطلوبة هي من تتوفر فيها بعض هذه الصفات إن لم يكن كلها :

يقول الله تعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ المعارج (١٩ ـ ٢٣) .

وقوله : ﴿**وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ العنكبوت آية (٤٥) .

وأثبت الله الفلاح للخاشعين في صلاتهم ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ المؤمنون (١ ـ ٢) وحذر المتشاغلين عن صلاتهم واللاهية قلوبهم عندها فقال ﴿**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**﴾ الماعون (٤ ـ ٧) .

فالصلاة التي يريدها الله تبارك وتعالى ليست مجرد أقوال وتمتمات على اللسان ، وحركات تؤديها الجوارح بلا خشوع وتدبر ، والتي تؤدى على عجلة من الأمر وإنما يريدها معراجاً للإنسان المؤمن يعرج فيها كل يوم بل وكل ساعة بروحه إلى ربه عز وجل ليبقى على ذكر دائم لربه عز وجل . يقول الله تبارك وتعالى ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾ سورة طه (١٤) .

هذه هي الصلاة التي يريدها الله تعالى والتي كانت قرة عين رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده والتابعون لهم بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثبوت اجتهاده عليه الصلاة والسلام في قيام الليل والصلاة :

وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام الاجتهاد في طاعة ربه وأمر بالاجتهاد حسب الطاقة إلى حد لا يحصل فيه الإعياء والملل ، والناس يختلفون في قدراتهم وطاقاتهم فقد يطيق رجل ما لا يطيقه آخر وقد يمل إنسان من أمر لا يمل منه آخر فالنفوس مختلفة في طاقات الاحتمال ، فمن أطاق كثرة العبادة والقراءة وقيام الليل ونحو ذلك من دون حصول ملل أو خلل يحول بينه وبين العبادة فله أن يفعل ذلك .

ومن حصل له ملل أو عرض له خلل لزم له ترك الإكثار من التعبد والتزم حد الإقتصاد الذي لا يوصله إلى حد الملل .

وقد أثبتنا من خلال الفصل الثاني من الباب السابق كثيراً من الأحاديث الصحيحة التي تثبت أن النبي ﷺ كان مجتهداً في عبادة ربه فعلاً وعملاً في

ذات نفسه ، وقولاً وأمراً لأصحابه ليجتهدوا في العبادة .

ووضعنا قواعد وضوابط في الفصل الثالث من الباب السابق، تضبط سير الإنسان إلى ربه فلا توصل إلى حد الملل والخلل إذا انضبط وفقها، وبهذا نعلم أن الاجتهاد في طاعة الله تعالى، والزيادة في الخير مندوبة بل ومستحبة في حق القادرين عليها وفق ما سبق .

وأما القول بأن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يكن يفعل مثلما كان يعمل هؤلاء المجتهدون الذين سنذكر حالهم، فإنه حق لأنه كان يشرع لأمة كاملة فيها القوي والضعيف، وهو قد وصفه ربه عز وجل بأنه شديد الإشفاق على أمته ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ وهو كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله مخافة أن يفترض على أمته ، فالأقوياء لهم في هديه قدوة ، والضعفاء لهم في هديه قدوة وربنا تعالى يحب المؤمن القوي أكثر من المؤمن الضعيف وإن كان كلاهما محبوب من الله تعالى .

فهدي المصطفى في الاجتهاد في عبادة ربه قياماً وصياماً وقراءة لكتاب الله وخوفاً من الله ثابت لا يستطيع أحد إنكاره فلا مجال للاحتجاج بأن الإجتهاد والمجاهدة ليس لها ما يسندها من الدليل ونحن قد ذكرنا كل هذا بشيء من التفصيل في الفصول السابقة .

أثر قيام الليل في نفس العبد المؤمن :

إن هذه العبادة تعد العبد المؤمن ليكن عبداً ربانياً ، موصولاً بالله ، مشرق النفس نير القلب ، حاضر الذهن ، متقد الفكر ، وصلاة قيام الليل لا يمكن اعتيادها من غير مجاهدة للنفس ومبارزة للشيطان ومقاومة للهوى وخاصة في أول الأمر . ولهذا فإن عدم تحكم المسلم في نومه يترتب عليه تفريط خطير في كثير من الأمور فصلاة الفجر جماعة قد تتعرض للخطر والاستغفار بالأسحار قد يتعرض للخطر ، وقيام الليل والتهجد قد يتعرض للخطر ، وصلاة العشاء في جماعة وأوراد بعد الفجر وأشياء كثيرة قد يصيبها الخلل نتيجة لعدم تنظيم الإنسان نومه ، وتعويد نفسه على التحكم في شأن النوم وخاصة في

عصرنا ، الذي غلبت عليه طرائق الحياة الغربية على بلادنا .

إن الغربي ينتهي من عمله فينام ثم تأتي فرصة لهوه ومتعته فيستمر بها إلى وقت متأخر من الليل ثم ينام إلى ساعة متأخرة ليذهب إلى العمل هذا هو الوضع الغالب هناك ، وهو وضع أصبح هو الغالب على الكثير منا بحكم ارتباط حياة الإنسان المعاصر بأجهزة التلفزيون ، ونشرات الأخبار في الراديو ، وغير ذلك، هذا الوضع تضيع معه كثير من الفروض والنوافل ، والسنن الإسلامية ، ولذلك لا بد من علاج واحد ، ولذلك فإن النوم في كل عصر يحتاج إلى علاج وتحكم ولكنه في عصرنا يزداد الطلب عليه .

وإن الليل في الإسلام لشأن عظيم قال تعالى : ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً**﴾ فإنه ينشىء الإنسان ، فإن العبادة في الليل ثقيلة على الإنسان ، ولكن أجر ذلك كبير ، فإن لعبادة الليل من الصفاء ما ليس لغيرها ، ومن التأثير في النفس ما ليس لغيرها ومن الفهم للمعاني ما ليس لغيرها .

ولهذا ذكر الله تبارك وتعالى هذه العبادة مادحاً أصحابها القائمين بها فقال : ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون**﴾ السجدة (١٦) .

وقوله : ﴿**والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾ الفرقان (٦٤) .

وقوله : ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ الذاريات آية (١٦) .

وإن لقيام الليل والناس نيام ، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها ، والإتصال بالله ، وتلقي فيوضه ونوره ، والأُنس بالوحدة معه والخلوة إليه ، وترتيل القرآن والكون ساكن ، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة ، واستقبال اشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته في الليل الساجي - إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل . والعبء الباهظ ، والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل ، وينير القلب في الطريق الشاق

الطويل ، ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير .

فقيام الليل إعلان لسيطرة الروح ، واستجابة لدعوة الله ، وإيثار للانس به ، ومن ثم فهو أقوم قيلاً ، لأن للذكر فيها حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، وللمناجاة فيها شفافيتها ، وإنها لتسكب في القلب انساً وراحة وشفافية ونوراً ، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره والله عز وجل الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره ، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه ، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤاً . وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه[١] .

« إن تمام التذكر لا يكون إلا مع الهدوء والسكون ، وهذا لا يتم إلا في مدرسة قيام الليل ، ولذلك رغب الله تعالى فيها في أكثر من موضع من كتابه الكريم من ذلك ما ذكرنا من الآيات ، ولذا كان السلف الصالح في القرون الأولى يحرصون على قيام الليل ، ولذلك كان إذا انتصف الليل سمعت أصوات المؤذنين تنادي :

يا رجال الليل جدوا   رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل إلا   من له عزم وجد

ولذلك فإن مدرسة الليل وحدها تستطيع أن تذكي شعلة الحماس في قلوب الرجال الذين يبغون الله والدار الآخرة وتنشر النور في الأرجاء التي لفتها ظلمة الجاهلية . وأكثر من هذا فإن من يتخرج في مدرسة الليل هو الذي يؤثر في الأجيال التي بعده إلى ما شاء الله والمتخلف عنها يابس قاس تقسو به القلوب ، ومن ذلك قول بشر الحافي :

«بحسبك أن قوماً موتى تحيي القلوب بذكرهم ، وأن قوماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم» وبعد فإن مدرسة الليل هي مدرسة غسل الذنوب المتراكمة على العباد ، فإن الذنب لا يغسل إلا بدمع ، وإن الشجاعة لا تسقى إلا

---

(١) في ظلال القرآن (٨/٣٤٦ ـ ٣٤٧) .

بدموع الليل ، وما عرف الإسلام رجاله إلا كذلك يقول ابن القيم رحمه الله في وصفهم : -

يحيون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل انهمال الوابل الهطال
في الليل رهبان وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالي[٢]

من الأسباب المعينة على قيام الليل :

١ ـ أن لا يكثر من الأكل فيكثر من الشرب فيغلبه النوم ويصعب عليه القيام .

٢ ـ أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها مفيدة للاستعانة على قيام الليل .

٣ ـ التعرف على فضل قيام الليل من خلال كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فيه ، فيهيجه ذلك إلى قيام الليل ونيل الأجر والثواب

٤ ـ ومن أشرف الأسباب المسهلة حب الله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه فإن أحب مناجاة الله عز وجل فليقم الليل .

وفي هذا يقول بعض الصالحين :

الفضيل بن عياض : إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي .

أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا .

محمد بن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث ، قيام الليل ، ولقاء الأخوان ، والصلاة في الجماعة[٣] .

---

(٢) الرقائق من صفحة (٣١ ـ ٣٥) بشيء من الاختصار .

(٣) مختصر منهاج القاصدين (ص ٦٧ ـ ٦٨) .

وبعد فلا بد من الإجابة على تساؤل يخطر في البال ألا وهو : أطول القيام أفضل ؟ أم كثرة الركوع والسجود :

اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم : طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود ، وإلى هذا ذهب الشافعي وجماعة وقال الشوكاني في نيل الأوطار : وهو الحق لما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله أي الصلاة أفضل ؟ قال : «طول القنوت »[٤] وقال النووي رحمه الله : المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت .

ولا يعارض حديث جابر وما في معناه الأحاديث الواردة في فضل السجود ، لأن صيغة أفعل الدالة على التفضيل إنما وردت في فضل طول القيام . وقال العراقي : الظاهر أن أحاديث أفضلية طول القيام محمولة على صلاة النفل التي لا تشرع فيها الجماعة وعلى صلاة المنفرد فأما الإمام في الفرائض والنوافل فهو مأمور بالتخفيف المشروع ، إلا إذا علم من حال المأمومين المحصورين إيثار التطويل ولم يحدث ما يقتضي التخفيف من بكاء الصبي ونحوه فلا بأس بالتطويل وعليه يحمل صلاته في المغرب بالأعراف .

وقال بعضهم : كثرة الركوع والسجود أفضل من طول القيام لقوله تعالى : ﴿**واسجد واقترب**﴾ العلق (١٩) .

ولأحاديث النبي ﷺ الحاثة على الإكثار من الركوع والسجود كنصيحته لثوبان وربيعة وقد سبق ذكر الحديثين آنفاً .

وقد سئل ابن عمر رضي الله عنه : أطول الركود في الصلاة في القيام أفضل أم طول السجود ، فقال : إن خطايا الإنسان في رأسه وإن السجود يحط الخطايا .

وقد حكاه الترمذي والبغوي عن جماعة من أهل العلم .

---

(٤) مسلم في صلاة المسافرين باب أفضل الصلاة طول القنوت ([illegible]) والترمذي في الصلاة باب ما جاء في طول القيام في الصلاة (٣٨٧) وابن ماجه في إقامة الصلاة حديث (١٤٢١) .

وحكى بعضهم أنهما سواء وتوقف أحمد بن حنبل في المسألة ولم يقض بشيء وقال : قد روي عن النبي ﷺ فيه حديثان ولم يقض فيه بشيء .

وقال إسحاق بن راهويه : أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل ، وأما في الليل فتطويل القيام إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتي عليه فتكثير الركوع والسجود أفضل لأنه يقرأ جزأه ويربح كثرة الركوع والسجود . قال ابن عدي : إنما قال اسحاق هذا ، لأنهم وصفوا صلاة النبي ﷺ بالليل بطول القيام ولم يوصف من تطويله بالنهار ما وصف من تطويله بالليل(٥) .

نماذج من اجتهاد السلف في الصلاة :

١ ـ عبد الله بن مسعود الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري من السابقين الأولين ، ومن النجباء العالمين .

طول قيامه مع النبي ﷺ :

يقول رضي الله عنه : صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء ! قلنا : وما هممت به ؟ قال : هممت أن أجلس وأذعه(٦) .

قال الحافظ في الفتح : وقد كان ابن مسعود قوياً محافظاً على الاقتداء بالنبي ﷺ وما هم بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده .

تهجده بالليل :

عن علقمة بن قيس قال : بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة ، فنام أول الليل ، ثم قام يصلي فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه ، يرتل ولا يرجع ، يسمع من حوله ولا يرجع صوته . حتى لم يبق من الغلس ،

---

(٥) نيل الأوطار للشوكاني (٣/٩٠ ـ ٩٢) شرح السنة للبغوي (٣/١٥١ ـ ١٥٣) تحفة الأحوذي (٢/٣٩٩ ـ ٤٠٠) .

(٦) سبق تخريجه في الفصل الثاني من الباب الأول . وأخرجه البخاري ومسلم وأحمد .

إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها ثم أوتر . أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٩٤٠٤) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٦٦) ورجاله رجال الصحيح .

٢ ـ معاذ بن جبل السيد الإمام أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث رقم (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) من طريق أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ما نصه : ـ قال : بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ إلى اليمن ، قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف . قال : واليمن مخلافان ثم قال : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله ، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه ، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى . فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه ، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس ، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه ، فقال له معاذ : يا عبد الله بن قيس أيم هذا ؟ قال : هذا رجل كفر بعد إسلامه . قال : لا أنزل حتى يقتل . قال : إنما جيء به لذلك ، فانزل ، قال : ما أنزل حتى يقتل . فأمر به فقتل ، ثم نزل فقال : يا عبد الله ؟ كيف تقرأ القرآن ؟ قال : اتفوقه تفوقاً ، قال : فكيف تقرأ أنت يا معاذ ؟ فقال : أنام أول الليل ، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم ، فأقرأ ما كتب الله لي ، فأحتسب نومي ، كما احتسب قومتي .

أتفوقه تفوقاً : الازم قراءته ليلاً ونهاراً شيئاً بعد شيء وحيناً بعد حين .

قوله : وقد قضيت جزئي : المراد أنه جزأ الليل أجزاء : جزءاً للنوم ، وجزءاً للقراءة والقيام .

٣ ـ عدي بن حاتم الطائي صاحب النبي ﷺ الجواد بن الجواد .

شدة حبه للصلاة :

أخرج ابن عساكر بسنده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : ما جاء

وقت صلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها ، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق . كنز العمال (٧/ ٨٠) سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٦٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٦٨) وعزاه لابن المبارك .

وقال رضي الله عنه : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء . تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٤٧) سير اعلام النبلاء (٣/ ١٦٤) .

٤ ـ الخليفة الراشد والإمام الزاهد الفاروق العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي رضي الله عنه .

شدة حبه للصلاة :

أخرج الطبراني في الأوسط بسنده عن المسور بن مخرمة ، قال : دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مسجى فقلت : كيف ترونه ؟ قالوا : كما ترى ، قلت : ايقظوه بالصلاة فإنكم لن توقظوه بشيء افزع له من الصلاة ، فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال : ها الله إذاً ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة ، فصلى وان جرحه ليثعب دماً. قال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٩٥) رجاله رجال الصحيح وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٥٠) .

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده إلى سعيد بن المسيب قال : كان عمر يحب الصلاة في كبد الليل يعني وسط الليل . (٣/ ٢٨٦) ومناقب عمر لابن الجوزي (ص ١٦٩) .

إيقاظه أهله بالليل للصلاة :

أخرج مالك في الموطأ بسند صحيح عن اسلم العدوي قال : أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل ، أيقظ أهله للصلاة . يقول لهم : الصلاة ، الصلاة . ثم يتلو هذه الآية ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ ، (١/ ١١٩) كتاب صلاة الليل باب ما جاء في صلاة الليل ، وكذا في مناقب عمر ص (١٦٩) .

٥ ـ الخليفة الراشد والإمام الجواد أمير المؤمنين عثمان بن عفان الخليفة الشهيد :

إحياء الليل كله :

ـ عن محمد بن سيرين قال : قالت امرأة عثمان رضي الله عنه حين أطافوا به يريدون قتله : إن تقتلوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن . الطبراني في الكبير برقم (١٣٠) وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٩) إسناده حسن ، ومن طريق محمد رواه أبو نعيم في الحلية (٥٧/١) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٦/١ و٩٨) .

ـ وعن رهيمة قالت : كان عثمان يصوم الدهر ، ويقوم الليل إلا هجعة من أوله . حلية الأولياء (٥٦/١)وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧١/٢) .

وكان يرى رضي الله عنه أن طول القيام والقراءة أفضل من كثرة الركوع والسجود فقد تواتر النقل عنه أنه كان يقوم الليل بركعة يقرأ فيها القرآن كله كما في مصنف عبد الرزاق (٣٥٤/٣) وسنن البيهقي (٣٩٦/٢) والمحلى لابن حزم (٥٣/٣) والمغني (٤٩٤/١) (١٧٤/٢) وكشف الغمة (١٠٢/١ ، ١١٤) وابن أبي شيبة (٩٩/١) .

وجاء عن عبد الرحمن بن عثمان قال : قلت لأغلبن على المقام الليلة فسبقت إليه ، فبينما أنا قائم أصلي إذا رجل وضع يده على ظهري ، قال فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذ أمير فتنحيت عنه فقام فافتتح القرآن حتى فرغ منه ثم ركع وجلس وتشهد وسلم في ركعة واحدة لم يزد عليها فلما انصرف قلت يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة قال هي وتري . سنن البيهقي (٢٥/٣) وأبو نعيم في الحلية (٥٦/١) .

٦ ـ الخليفة الراشد قاضي الأمة وفارس الإسلام وختن المصطفى ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

جاء عن الأشتر أنه دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي فقال : يا أمير المؤمنين صوم بالنهار ، وسهر

بالليل وتـب فيما بين ذلك ! فلما فرغ من صلاته قال : سفر الآخـرة طويـل ، فيحتاج إلى قطعه بسير الليـل ـ وهو الادلاج . انـظر المحجة في سيـر الدلجـة لابن رجب (ص ٦٦ ـ ٦٧) .

٧ ـ الإمام القدوة شيـخ الإسلام عبـد الله بن عمر بن الخـطاب أبو عبـد الرحمن القرشي العدوي المكي لقد كـانت نوافـل هذا الإمـام تستوقف النـظر وتستدعي الإعجاب . وخاصة قيامه الليل وتهجده . فقد كان أخـا الليل يقـومه مصليـاً ، وصديق السحـر يقطعـه داعيـاً ومستغفـراً ، وكيف لا يكـون كـذلـك والرسول عليه الصلاة والسلام يحثه على هذا الأمر : .

(أ) فقـد جاء في صحيـح الإمام البخـاري في التهجد بـاب فضـل قيـام الليـل حـديث (١١٢١) (١١٢٢) وصحيح الإمـام مسلم في فضائـل الصحابـة باب فضائل عبد الله بن عمر حديث رقم (٢٤٧٩) ما نصه :

قال عبد الله بن عمـر : كان الـرجل في حيـاة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيـا قصهـا على رسول الله ﷺ ، فتمنيت أن أرى رؤيـا أقصها على رسـول الله ﷺ . وكنت غلاماً شاباً عـزباً . وكنت أنـام في المسجد على عهـد رسول الله ﷺ . فرأيت في النوم كـأن ملكين أخذاني فـذهبا بي إلى النـار ، فإذا هي مطوية كـطي البئر . وإذا لهـا قرنـان كقرني البئـر ، وإذا فيها نـاس قد عرفتهم . فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، أعوذ بـالله من النار ، أعـوذ بالله من النار . قـال : فلقيهما ملك فقـال لي : لم ترع . فقصصتهـا على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : «نعم الرجل عبـد الله ! لو كـان يصلي من الليل » قـال سالم : فكـان عبـد الله ، بعـد ذلك ، لا ينام من الليل إلا قليلاً .

وقد جاءت أخبار كثيرة تـروي لنا حـال عبد الله بن عمـر رضي الله عنه في قيامه الليل : .

(ب) فعن نـافع أن ابن عمـر كـان يحيي الليـل صـلاة ثم يقـول : يـا نـافـع أسحرنا ؟ فيقـول : لا ، فيعاود الصـلاة ، ثم يقول : يـا نافـع اسحرنـا فيقول : نعم ، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح . الإصـابة في تمييـز

الصحابة (١/٣٤٩) حلية الأولياء (١/٣٠٣) سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٥) .

(جـ) وعن ابن عوف عن محمد . قال : كان ابن عمر كلما استيقظ من الليل صلى .

(د) وعن أبي غالب مولى خالد بن عبد الله قال : كان ابن عمر ينزل علينا بمكة ، فكان يتهجد من الليل فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح : يا أبا غالب ألا تقوم فتصلي ولو تقرأ بثلث القرآن . فقلت : قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلث القرآن . فقال : إن سورة الإخلاص ـ قل هو الله أحد ـ تعدل ثلث القرآن » حلية الأولياء (١/٣٠٤) .

(هـ) وعن محمد بن زيد : أن ابن عمر كان له مهراس فيه ماء ، فيصلي فيه ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش ، فيغفي إغفاءة الطائر ، ثم يقوم ، فيتوضأ ويصلي ، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسة . سير أعلام النبلاء (٣/٢١٥) والإصابة (١/٣٤٠) ورجاله ثقات . والمهراس : صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء ، وقد يعمل منها حياض للماء .

(و) وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يحيي بين الظهر إلى العصر. سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٥) وحلية الأولياء (١/٣٠٤) .

(ز) وعن نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيى ليلته . سير أعلام النبلاء (٣/٢٣٥) حلية الأولياء (١/٣٠٣) .

٨ ـ حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المكي الأمير ابن عم رسول الله ﷺ .

لقد عاش ابن عباس رضي الله عنهما حياته الأولى في كنف رسول الله ﷺ واطلع على عبادته وخشيته من الله تعالى . فكان يتلقى دروساً عملية في

عبادة الله والإخلاص له ، ثم صحب من بعده الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين التقي المتعبد الورع ، فلا عجب بعد ذلك أن ينشأ محباً لعبادة الله مقبلاً عليها ، ولقد وصف كثير ممن عايشه واتصل به عبادته وورعه وخشيته من الله سبحانه :

ـ عن عبد الله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من التسبيح والنحيب . سير أعلام النبلاء (٣/٣٥٢) صفة الصفوة (١/٧٥٥) .

ـ وعن ابن أبي مليكة أيضاً قال : ـ صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان إذا نزل ، قام شطر الليل ، فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ (ق : ١٩) فجعل يرتل ويكثر في ذلك التسبيح . سير أعلام النبلاء (٣/٣٤٢) (حلية الأولياء) (١/٣٢٧) .

والنشيج : أحر البكاء وهو مثل بكاء الصبي إذا ردد صوته في صدره ، ولم يخرجه .

٩ ـ تميم الداري صاحب رسول الله ﷺ :

ـ جاء عن محمد بن سيرين : أن تميماً الداري ، كان يقرأ القرآن في ركعة كما في سير اعلام النبلاء (٢/٤٤٥) تهذيب ابن عساكر (٣/٣٥٩) الفتح المبين بشرح الاربعين ابن حجر الهيثمي (ص ١٠٨) .

ـ وجاء عن مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة ، هذا مقام أخيك تميم الداري : صلى ليلة حتى أصبح أو كاد ، يقرأ آية يرددها ، ويبكي ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ (الجاثية : ٢٠) .

سير أعلام النبلاء (٤٤٥) وأخرجه الطبراني برقم (١٢٥٠) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن غندر عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى

عن مسروق ورجاله ثقات ، ونسبه في الإصابة (١/٣٠٥) إلى البغوي في الجعديات .

١٠ ـ الإمام المفتي المقرىء المحدث راوية الإسلام أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي النجاري المدني خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء .

ـ روى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال : كان أنس يصلي حتى تقطر قدماه دماً ، مما يطيل القيام رضي الله عنه . سير أعلام النبلاء (٣/٤٠٠) .

١١ ـ الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله سيد الحفاظ الأثبات أبو هريرة رضي الله عنه .

ـ جاء عن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعاً ، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً يصلي هذا ، ثم يوقظ هذا ، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا . قلت : يا أبا هريرة كيف تصوم قال : أصوم من أول الشهر ثلاثاً .

سير اعلام النبلاء (٢/٦٠٩) أبو نعيم في الحلية (١/٣٨٢) ابن عساكر في التاريخ (١٩/١٢٢/٢) الحافظ في الإصابة (٤/٢٠٧) ونسبه لأحمد في الزهد وصحح اسناده ورجاله ثقات ، تذكرة الحفاظ (١/٣٦) مسند أحمد (٢/٣٥٣) .

ـ ويحدث هو عن مسلكه فيقول : اني لأجزىء الليل ثلاثة أجزاء فثلث أنام وثلث أقوم وثلث أتذكر أحاديث رسول الله ﷺ . سنن الدارمي (١/٨٢) .

١٢ ـ الحافظ القاري والإمام الجاري سالم مولى أبي حذيفة .

ـ من حديث عائشة قالت : استبطأني رسول الله ذات ليلة ، فقال : ما حبسك ؟ قلت : إن في المسجد لأحسن من سمعتُ صوتاً بالقرآن ، فأخذ

رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة فقال : «الحمد لله الذي جعل في امتي مثلك» .

الحاكم في المستدرك (٢٢٦/٣) وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد (١٦٥/٦) وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/١) وابن الأثير في أسد الغابة (٣٠٨/٢) وسير أعلام النبلاء (١٦٨/١) والحديث رجاله ثقات وإسناده صحيح .

١٣ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المكي أحد الأعلام ولد الحواري أبي عبد الله ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه .

ـ شدة خشوعه في صلاته :

ـ عن ابن المنكدر قال : لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن تصفقه الريح ، وحجر المنجنيق يقع ها هنا ، حلية الأولياء (٣٣٥/١) سير اعلام النبلاء (٣٦٩/٣) .

ـ وعن عمرو بن دينار قال : كان ابن الزبير يصلي في الحجر ، والمنجنيق يَصُبُّ ثوبه ، فما يلتفت . يعني لما حاصروه ، سير أعلام النبلاء (٣٦٩/٣) الثوب : حجر المنجنيق .

ـ عن عمر بن قيس عن أمه انها دخلت على ابن الزبير بيته ، فإذا هو يصلي ، فسقطت حية على ابنه هاشم فصاحوا : الحية ، الحية ، ثم رموها ، فما قطع صلاته . سير أعلام النبلاء (٣٧٠/٣) تهذيب ابن عساكر (٤٠١/٧) .

ـ وعن ثابت البناني قال : كنت أمر بابن الزبير ، وهو خلف المقام يصلي ، كأنه خشبة منصوبة لا تتحرك ، سير أعلام النبلاء (٣٦٩/٣) .

ـ وعن مجاهد قال : كان ابن الزبير إذا قام إلى الصلاة ، كأنه عود ، وحدث أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان كذلك ، سير أعلام النبلاء (٣٦٨/٣ ـ ٣٦٩) حلية الأولياء (٣٣٥/١) .

ـ صلاته وقيامه :

ـ عن أم جعفر بنت النعمان أنها سلمت على أسماء بنت أبي بكر ـ وذكر عندها عبد الله بن الزبير فقالت : كان ابن الزبير قوام الليل ، صوام النهار ، وكان يسمى حمام المسجد ، حلية الأولياء (١/ ٣٣٥) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٧) .

١٤ ـ تميم بن أسيد أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه .

ـ عن حميد بن هلال قال : كان أبو رفاعة العدوي يقول : ما عَزَبت عني سورة البقرة منذ علمنيها رسول الله ﷺ أخذتُ معها ما أخذت من القرآن ، وما وجع ظهري من قيام الليل قط، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٦٩) ورجاله ثقات .

التابعون ومن تبعهم بإحسان :

١٥ ـ الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل ابو بحر التميمي أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل :

ـ قيل للأحنف : إنك كبير والصوم يضعفك ، قال : إني اعده لسفر طويل ، وقيل أن عامه صلاة الأحنف بالليل ، وكان يضع اصبعه على المصباح ، ثم يقول : حس . ويقول ما يحملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٩١ ـ ٩٢) .

١٦ ـ سعيد بن المسيب بن حزن الإمام العلم ، أبو محمد القرشي المخزومي ، عالم أهل المدينة ، وسيد التابعين في زمانه .

ـ كان سعيد بن المسيب رحمه الله يخاطب نفسه فيقول : قومي يا مأوى كل شر ، والله لادعنك تزحفين زحف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان فيقول لنفسه : بذا امرت ، ولذا خلقت . انظر الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٣٠) .

ـ صلاته بالليل :

ـ قال ابن حرملة حفظت صلاة ابن المسيب وعمله بالنهار فسألت مولاه عن عمله بالليل ، فأخبرني ، فقال : وكان لا يدع أن يقرأ بصاد والقرآن كل

ليلة ، فسألته عن ذلك فأخبر أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة ، فقرأ بصاد ، فلما مر بالسجدة سجد ، وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول : اللهم أعطني بهذه السجدة أجراً ، وضع عني بها وزراً ، وارزقني بها شكراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود . سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٠) حلية الأولياء (٢/ ١٦٥) طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٢) .

ـ صلاته الصبح والعشاء بوضوء واحد :

ـ قال عبد المنعم بن إدريس عن أبيه : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، حلية الأولياء (٢/ ١٦٣) طبقات الشعراني (١/ ٣٠) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥) .

ـ حرصه على صلاة الجماعة .

جاء عن عثمان بن حكيم قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد ، حلية الأولياء (٢/ ١٦٢) وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٢١) وقال الذهبي رحمه الله : إسناده ثابت .

ـ وعن سعيد بن المسيب قال : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة، يعني لمحافظته على الصف الأول ، طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٣) .

ـ وعن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال : ما لقيت الناس منصرفين من صلاة منذ اربعين سنة . الحلية (٢/ ١٦٢) الطبقات (٥/ ١٣١) صفة الصفوة (٢/ ٤٤) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥) شذرات الذهب (١/ ١٠٣) تاريخ الذهبي (٤/ ٥) وسير اعلام النبلاء (٤/ ٢٢٥) البداية والنهاية (٩/ ١٠٠) طبقات الشعراني (١/ ٣٠) .

ولا تعارض بين قوله خمسين سنة وأربعين سنة إذ أن الخمسين كانت في زمن متأخر ، والأربعين كانت في زمن متقدم ، والله أعلم .

١٧ ـ أبو مسلم الخولاني الداراني سيد التابعين وزاهد العصر وحكيم الأمة وممثلها .

ـ وصوله أقصى غايات العبادة :

عن سعيد بن عبد العزيز قال قال ابو مسلم الخولاني : لو قيل لي أن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي ، حلية الأولياء (٢/ ١٢٤) .

ـ معاتبته نفسه على تقصيرها :

ـ قال عثمان بن أبي العاتكة : علق أبو مسلم سوطاً في المسجد ، فكان يقول : أنا أولى بالسوط من البهائم فإذا فتر مشق ساقيه سوطاً أو سوطين ، قال : وكان يقول : لو رأيت الجنة عياناً أو النار عياناً ما عندي مستزاد ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٩) وحلية الأولياء (٢/ ١٢٧) .

ـ كثرة صلاته للنوافل :

عن شرحبيل بن مسلم : أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني في منزله فقال بعض أهله هو في المسجد ، فأتيا المسجد فوجداه يركع فانتظرا انصرافه واحصيا ركوعه فأحصى أحدهما أنه ركع ثلثمائة والآخر اربعمائة قبل أن ينصرف، حلية الأولياء (٢/ ١٢٧) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠) تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٤) .

١٨ ـ القدوة الولي الزاهد أبو عبد الله عامر بن عبد قيس التميمي العنبري البصري : ـ

ـ توزيع يومه وليلته :

ـ عن الحسن قال : إن عامراً كان يقول : من أُقرىء ؟ فيأتيه ناس ، فيقرئهم القرآن ، ثم يقوم فيصلي إلى الظهر ، ثم يصلي إلى العصر ، ثم يقرىء الناس إلى المغرب ، ثم يصلي بين العشاءين ، ثم ينصرف إلى منزله فيأكل رغيفاً ، وينام نومة خفيفة ثم يقوم لصلاته ، ثم يتسحر رغيفاً ويخرج . سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥ ـ ١٦) تاريخ الإسلام (٣/ ٢٦) .

ـ طول قيامه بالليل :

عن ابن فضيل عن أبيه قال : كان عامر بن عبد قيس يقول : ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا رأيت مثل النار نام هاربها ، قال : وكان إذا جاء الليل قال : أذهب حر النار النوم ، فما ينام حتى يصبح ، فإذا جاء النهار قال : اذهب حر النار النوم ، فما ينام حتى يمسي فإذا جاء الليل قال : من خاف

أدلج ، بعد الصباح يحمد القوم السري . الزهد لهنّاد بن السري رقم (٥١٠) وسنده حسن .

ـ كثرة صلاته :

عن ابن وهب وغيره : أن عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين ، وفرض على نفسه كل يوم الف ركعة ، يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائماً إلى العصر ، ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمارة بالسوء ، فوالله لأعملن بك عملاً حتى لا يأخذ الفراش منك نصيباً ، حلية الأولياء (٢/٨٨ ـ ٨٩) ، سير اعلام النبلاء (٤/١٨) تاريخ الإسلام (٣/٢٧) .

ـ شدة خشوعه في صلاته :

عن أبي الحسين المجاشعي قال : قيل لعامر بن عبد قيس أتحدث نفسك في الصلاة ؟ قال : احدثها بالوقوف بين يدي الله ومنصرفي ، سير اعلام النبلاء (٤/١٧) .

ـ وعن علقمة بن مرثد قال : أما عامر بن عبد قيس فإنه كان ليصلي فيتمثل ابليس في صورة الحية فيدخل من تحت قميصه ، حتى يخرج من جنبه ، فما يمسه ، فقيل له : الا تنحي الحية عنك ؟ فقال إني لاستحي من الله من أن أخاف سواه ، فقيل : إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع . فقال : والله لاجتهدن ، ثم والله لاجتهدن ، فإن نجوت فبرحمة الله تعالى ، وإن دخلت النار فلبعد جهدي ، فلما احتضر ، بكى ، فقيل له : أتجزع من الموت . وتبكي ؟ فقال : ومالي لا أبكى ، ومن أحق بذلك مني ؟! والله ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على دنياكم ، رغبة فيها ، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، وكان يقول : إذ هي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة الحساب والعذاب ، فأين الروح والفرج . زهد الثمانية صفحة (٣٧ ـ ٣٨) حلية الأولياء (٢/٨٨) بعضه . ابن المبارك في الزهد (٥٢٩) قولهم له : أن الجنة لتدرك بأقل من هذا . . . وسير أعلام النبلاء (٤/١٩)

قصة احتضاره وجزعه . والحلية (٢/٨٧ ـ ٨٨) سياق طويل شبيه بهذا اللفظ .

١٩ ـ أويس القرني القدوة الزاهد سيد التابعين في زمانه أبو عمرو المرادي اليماني .

ـ عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس إذاأمسى يقول:هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح فكان إذا أمسى يقول : هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح ، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم قال : اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ، ومن مات عرياً فلا تؤاخذني به ، سير أعلام النبلاء (٤/٣٠) حلية الأولياء (٢/٨٧) .

٢٠ ـ الربيع بن خثيم بن عائذ الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام .

ـ الإجتهاد في قيام الليل :

ـ عن مالك بن دينار قال : قالت ابنة للربيع : يا أبت لم لا تنام والناس ينامون ؟ فقال : إن البيات النار لا تدع أباك أن ينام ، سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٠) حلية الأولياء (٢/١١٤ ـ ١١٥) والمعرفة والتاريخ (٢/٥٧٠) .

وعن سفيان قال : بلغنا أن أم الربيع بن خثيم كانت تنادي ابنها الربيع فتقول : يا بني يا ربيع ألا تنام ؟ فقيل : يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام ، قال : فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت : يا بني لعلك قتلت قتيلاً ؟ فقال : نعم يا والده قد قتلت قتيلاً . قالت : ومن هذا القتيل يا بني حتى يتحمل على أهله فيعفون ؟ والله لو يعلمون ما تلقى من البكاء والسهر بعد لقيه لرحموك ؟ فيقول : يا والدة هي نفسي ، حلية الأولياء (٢/١١٤) .

ـ حرصه على صلاة الجماعة :

عن أبي حيان عن أبيه قال : كان الربيع بن خُثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج ، فقيل له : قد رخص لك ، قال : إني أسمع « حي على الصلاة »

فإن استطعتم أن تأتوها ولو حبواً. وقيل أنه قال: ما يسرني أن هذا الذي بي بأعتى الديلم على الله ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٠) طبقات ابن سعد (٦/١٨٩ - ١٩٠) المعرفة والتاريخ (٢/٥٧١) والحلية (٢/١١٣ - ١١٥) .

٢١ - مسروق بن الاجدع الإمام القدوة العلم أبو عائشة الوادعي الهمذاني وهو من كبار التابعين ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ ولم يروه : -

- عن أنس بن سيرين عن امرأة مسروق أن مسروقاً كان يصلي حتى ترم قدماه ، وتجلس امرأته فتبكي مما يصنع بنفسه. حلية الأولياء (٢/ ٩٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٤٩) العبر في خبر من غبر (١/ ٦٨) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥) وكيع في الزهد رقم (١٤٩) وأحمد في الزهد (٣٥٠) وابن سعد (٦/ ٨١) ومن طريق محمد عن امرأة مسروق : ابن المبارك في الزهد (٣١ - ٣٢) ومن طريقة النسائي في الكبرى كما في تحفة الاشراف (١٣/ ٣٨٧) والحافظ في التهذيب (١٠/ ١١٠) قريباً من اللفظ السابق .

- وعن شعبة عن أبي اسحاق قال : حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥) مرآة الجنان (١/ ١٣٩) وهذا من كثرة صلاته بالليل وقيامه .

- وقال سعيد بن جبير قال لي مسروق : ما بقي شيء يرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب ، وما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٦) .

٢٢ - الاسود بن يزيد الإمام القدوة أبو عمرو النخعي الكوفي وهو نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسن يضرب بعبادتهما المثل .

- وعن ابراهيم النخعي قال : إن الأسود كان يصلي في اليوم والليلة سبعمائة ركعة ، الذهبي في العبر (١/ ٨٦) ومرآة الجنان لليافعي (١/ ١٥٦) .

ـ وكذا كان ابنه عبد الرحمن : فقد قال النضر بن إسماعيل عمن أخبره قال : كان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون أنه من أقل أهل بيته اجتهاداً ، تذكرة (١/٥١) وستأتي لعبد الرحمن ترجمة لاحقاً مبينين فيها اجتهاده في العبادة .

ـ وعن إبراهيم قال : كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان ينام بين المغرب والعشاء وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال. سير أعلام النبلاء (٤/٥١) معرفة القراء الكبار (١/٥٠) وهذا النص يدل دلالةً واضحة على طول قيامه في الليل رحمه الله تعالى .

ـ وسئل الشعبي عن الأسود فقال : كان صواماً قواماً حجاجاً ، الحلية (٢/١٠٣) .

٢٣ ـ مرة الطيب ويقال له أيضاً : مرة الخير لعبادته وخيره وعلمه وهو مرة بن شراحيل الهمذاني الكوفي ، مخضرم كبير الشأن .

ـ تفرغه للعبادة :

ـ عن سفيان بن عيينة ، سمعت عطاء بن السائب يقول : رأيت مصلى مرة الهمذاني مثل مبرك البعير ونقل عطاء أو غيره أن مرة كان يصلي في اليوم والليلة ست مئة ، سير أعلام النبلاء (٤/٧٥) وعلق الذهبي على هذا النص بقوله : ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم ، ولهذا لم تكثر روايته ، وهل يراد من العلم إلا ثمرته .

٢٤ ـ شقيق بن سلمة الإمام الكبير أبو وائل الأسدي الكوفي شيخ الكوفة مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه .

خشوعه في الصلاة :

ـ عن عاصم قال : كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجاً ، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله ، سير أعلام النبلاء (٤/١٦٥) تاريخ بغداد (٩/٢٧٠) .

ـ قيام الليل :

عن عاصم قال : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً ، يلبسون المعصفر ، ويشربون نبيذ الجر ، لا يرون بـه بأسـاً منهم زر وأبو وائـل ، سير أعلام النبلاء (٤/١٦٨) .

وزر هو الإمام القدوة مقرىء الكوفة مـع السلمي زر بن حبيش ابو مـريم الأسدي الكوفي ويكنى أبا مطرف ، أدرك أيام الجاهلية .

٢٥ ـ سعيد بن جبير الإمام الحافظ المقـرىء المفسر الشهيـد أبو محمـد ويقال عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي أحد الاعلام .

طول قيامه في الليل :

ـ قال حماد بن أبي سليمـان : قام سعيـد بن جبير ليلة في جـوف الكعبة فقرأ القرآن في ركعة ، تذكرة الحفاظ (١/٧٦) معرفة القراء الكبار (١/٦٩) حليـة الأوليـاء (٤/٢٧٣) من طـريق إسحـاق مـولى عبـد الله بن عمـر عن هلال بن يساف ، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢٤) والزهد لاحمد (٣٧٠) .

ـ وعن عبـد الملك بن أبي سليمـان عن سعيـد بن جبيـر أنـه كـان يختم القـرآن في كل ليلتين ، سيـر أعلام النبـلاء (٤/٣٢٥) ابن سعد (٦/٢٥٩) الزهد لأحمد (٣٧٠) الحلية (٤/٢٧٣) معرفة القراء الكبار (١/٦٩) .

٢٦ ـ عمرو بن ميمون الاودي المذحجي الكوفي الإمـام الحجة أبـو عبد الله أدرك الجاهلية واسلم في الأيام النبوية .

كثرة قيامه الليل :

ـ عن إبراهيم قال : لما كبر عمرو بن ميمون ، وتـد له وتـداً في الحائط فكـان إذا سئم من طول القيـام استمسك بـه أو يربط حبـلاً فيتعلق بـه ، سيـر أعـلام النبـلاء (٤/١٦٠) حليـة الأوليـاء (٤/١٥٠) تـذكـرة الحفـاظ (١/٦٥) .

كثرة صلاته بالليل :

ـ عن هشيم عن أبي بلج ، عن عمـرو بن ميمـون أنـه كـان لا يتمنى

الموت ، ويقول : إني أصلي في اليوم كذا ، وكذا ، حتى أرسل إليه يزيد بن أبي مسلم فتعنته ، ولقي منه شدة ، فكان يقول : اللهم الحقني بالأخيار ، ولا تخلفني مع الأشرار ، واسقني من عذب الأنهار ، سير أعلام النبلاء (٤/١٦٠ - ١٦١) حلية الأولياء (٤/١٤٨) .

٢٧ - علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب السيد الإمام زين العابدين الهاشمي العلوي المدني .

- كثرة صلاته :

عن مالك : أحرم علي بن الحسين، فلما أراد أن يلبي ، قالها ، فاغمي عليه ، وسقط من ناقته متهشم ، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات ، وكان يسمى زين العابدين لعبادته ، سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٢) تذكرة الحفاظ (١/٧٥) العبر في خبر من غبر (١/١١١) .

خشوعه في الصلاة :

- عن عبد الله بن أبي سليمان قال : كان علي بن الحسين إذا مشى لاتجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة ، فقيل له ، فقال : تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ، وعنه أنه كان إذا توضأ اصفر ، سير أعلام النبلاء (٤/٣٩٢) الحلية (٣/١٣٣) ابن سعد (٥/٢١٦) .

٢٨ - أبو جعفر الباقر هو السيد الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي المدني ولد زين العابدين .

كثرة صلاته للنافلة :

- عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : كنت أنا وأبو جعفر نختلف إلى جابر نكتب عنه في الواح ، وبلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة ، سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٣) .

- وعن عبد الله بن يحيى قال : رأيت على أبي جعفر ازاراً اصفر وكان

يصلي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة ، سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٤ - ٤٠٥) حلية الأولياء (٣/١٨٢) .

٢٩ - عروة بن الزبير حواري رسول الله ﷺ الإمام الفقيه عالم المدينة أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني أحد الفقهاء السبعة .

طول قيامه بالليل :

- عن ابن شوذب قال : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظراً ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ، وكان وقع فيها الأكلة فنشرت ، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه ، فيدخلون ويأكلون ويحملون ، سير أعلام النبلاء (٤/٤٢٦) الحلية (٢/١٧٨ - ١٨٠) تذكرة الحفاظ (١/٦٢)

٣٠ - مسلم بن يسار القدوة الفقيه الزاهد أبو عبد الله البصري مولى بني أمية :

اجتهاده في القيام وخشوعه :

- عن عبد الله بن مسلم بن يسار : أن أباه كان إذا صلى كأنه ود لا يميل لا هكذا ولا هكذا ، سير أعلام النبلاء (٤/٥١١) المعرفة والتاريخ (٢/٨٥) ابن سعد (٧/١٨٦) حلية الأولياء (٢/٢٩١) .

- وعن العلاء بن زياد قال : لو كنت متمنياً لتمنيت فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وصواب مطرف ، وصلاة مسلم بن يسار ، سير (٤/٥١١) .

٣١ - طلق بن حبيب العنزي بصري زاهد كبير من العلماء العاملين : -

- قال ابن عيينه : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة البقرة حتى يبلغ العنكبوت وكان يقول : اشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي ، سير (٤/٦٠٢) الحلية (٣/٦٤) .

٣٢ - معاذة العدوية بنت عبد الله السيدة العالمة أم الصهباء العدوية البصرية العابدة زوجة صلة بن أشيم السيد القدوة :

ـ كانت تحيي الليل عبادة وتقول : عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في ظلمة القبور ، سير أعلام النبلاء (٤/٥٠٩) .

ـ وعن محمد بن فضيل عن أبيه قال : كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت : هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي ، وإذا جاء الليل قالت : هذا ليلي الذي أموت فيه ، فلا تنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم ، أحمد في الزهد (٢٠٨) هناد في الزهد رقم (٥١١) وإسناده حسن .

٣ ـ صلة بن أشيم الزاهد العابد القدوة أبو الصهباء العدوي البصري زوج العالمة معاذة العدوية :

ـ عن معاذة : قالت : كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً ، ابن سعد (٧/١٣٦) .

٣٤ ـ محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري مولى أنس بن مالك : .

ـ عن أنس بن سيرين قال : كان لمحمد سبعة أوراد فإذا فاته شيء من الليل قرأه بالنهار ، سير أعلام النبلاء (٤/٦١٨) أبو نعيم في الحلية (٢/٢٧١ ـ ٢٧٢) .

٣٥ ـ ميمون بن مهران الإمام الحجة عالم الجزيرة ومفتيها أبو أيوب الجزري الرقي .

كثرة صلاته في اليوم والليلة :

ـ عن إبراهيم بن محمد السمري : أن ميمون بن مهران صلى في سبعة عشر يوماً سبعة عشر ألف ركعة فلما كان في اليوم الثامن عشر ، انقطع في جوفه شيء فمات ، سير أعلام النبلاء (٥/٧٧) تذكرة الحفاظ (١/٩٩) .

٣٦ ـ وهب بن منبه بن كامل الإمام العلامة الاخباري القصصي أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني أخو همام بن منبه .

ـ عن المثنى بن الصباح : لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً ، سير أعلام النبلاء (٥٤٧/٤) تذكرة الحفاظ (١٠١/١) .

٣٧ ـ عمرو بن دينار الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه كان من الحفاظ المقدمين أفتى بمكة ثلاثين سنة .

تقسيمه الليل :

ـ روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال : كان عمرو بن دينار : جزأ الليل ثلاثة أجزاء ثلثا نيام ، وثلثاً يدرس حديثه ، وثلثاً يصلي ، سير (٣٠٢/٥) تذكرة الحفاظ (١١٣/١) .

٣٨ ـ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه الإمام بن الإمام .

ـ قال الذهبي فيه : كان من المتهجدين العباد ، سير (١١/٥) .

ـ وعن ابن إسحاق قال : قدم علينا عبد الرحمن بن الاسود حاجاً فاعتلت رجله فصلى على قدم حتى أصبح ، سير (١٢/٥) .

ـ بكاءه أسفاً على الصلاة والصوم حين احتضاره :

ـ عن الحكم أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى ، فقيل له : فقال : أسفاً على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات ، سير أعلام النبلاء (١٢/٥) ، وقد سبق في ترجمة أبيه نص أنه كان يصلي سبعماية ركعة وكان يعد من أقل أهل بيته عبادة .

٣٩ ـ أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمذاني الكوفي الحافظ شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها وكان من العلماء العاملين ومن جلة التابعين : ـ

قيامه الليل :

ـ قال يونس بن أبي اسحاق : كان أبي يقرأ في كل ليلة ألف آية وقال : ابو الاحوص : قال أبو اسحاق : يا معشر الشباب ، اغتنموا يعني ـ قوتكم

وشبابكم ، فلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية ، وإني لاقرأ البقرة في ركعة ، وإني لاصوم الاشهر الحرم وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس ، سير (٥/ ٣٩٧) تذكرة الحفاظ (١/ ١١٥) .

٤٠ ـ ثابت بن اسلم البناني الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني مولاهم البصري .

مكابدة الليل وقيامه :

ـ عن ابن ابي رزين قال : أن ثابتاً قال : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها عشرين سنة ، سير (٥/ ٢٢٤) .

ـ قال بكر بن عبد الله : من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني فما أدركنا الذي هو أعبد منه ، ميزان الإعتدال (١/ ٣٦٢) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٩) .

ـ ومن شدة حبه للصلاة أنه كان يدعو بما يلي : عن حماد بن سلمة قال : كان ثابت يقول : اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٢) .

ـ وعن حماد بن سلمة قال : قرأ ثابت ﴿**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً**﴾ الكهف (٣٧) وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويرددها ، سير (٥/ ٢٢٥) .

ـ وجاء عن مبارك بن فضالة : دخلت على ثابت فقال : يا أخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أُصلي ولم أقدر أن أصوم ، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكر معهم ، اللهم إذ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة ، سير (٥/ ٢٢٥) .

٤١ ـ صفوان بن سليم الإمام الثقة الحافظ الفقيه أبو عبد الله وقيل أبو الحارث القرشي الزهري المدني .

ـ قال علي بن المديني : كان صفوان بن سليم يصلي على السطح في الليلة الباردة لئلا يجيئه النوم ، سير (٥/ ٣٦٥) .

ـ عن مالك بن أنس قال : كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء في السطح ، وفي الصيف في بطن البيت يتيقظ بالحر والبرد ، حتى يصبح ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم ، وإنه لترم رجلاه حتى يعود كالسقط من قيام الليل ، ويظهر فيه عروق خضر ، سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٥) تذكرة الحفاظ (١٣٤/١) .

شدة اجتهاده في العبادة :

ـ عن أنس بن عياض قال : رأيت صفوان بن سليم ولو قيل له : غداً القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة ، سير أعلام النبلاء (٣٦٦/٥) تذكرة الحفاظ (١٣٤/١) .

ـ عن عبد العزيز بن أبي حازم قال : عادلني صفوان بن سليم إلى مكة فما وضع جنبه في المحمل حتى رجع ، سير (٣٦٦/٥) .

ـ وقال ابن أبي حازم : دخلت مع أبي على صفوان بن سليم وهو في مصلاه ، فما زال به أبي حتى رده إلى فراشه ، فأخبرته مولاته قالت : ساعة خرجتم مات ، سير (٣٦٨/٥) .

٤٢ ـ منصور بن زاذان الإمام الرباني شيخ واسط علماً وعملاً أبو المغيرة الثقفي مولاهم الواسطي .

ـ عن يزيد بن هارون قال : كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر ويختم في اليوم مرتين ويصلي الليل كله ، سير (٤٤١/٥) .

وقال هشيم : كان منصور لو قيل له : إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل ، وكان يصلي من طلوع الشمس إلى أن يصلي العصر ثم يسبح إلى المغرب ، سير (٤٤٢/٥) تذكرة الحفاظ (١٤١/١) وجاء مثل ذلك عن أبي عوانة في الحلية (٥٨/٣) .

وعن العلاء قال : أتيت مسجد واسط فأذن المؤذن للظهر ، فجاء منصور بن زاذان فافتتح الصلاة فرأيته سجد إحدى عشرة سجدة قبل أن تقام

الصلاة ، حلية الأولياء (٣/ ٥٨) .

٤٣ ـ طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ .

ـ عن عبد الرزاق عن داود بن إبراهيم : أن الأسد حبس ليلة الناس في طريق الحج ، فدق الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ، ذهب عنهم ، فنزلوا وناموا ، وقام طاووس يصلي ، فقال له رجل : ألا تنام ، فقال : وهل ينام أحد السحر ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩ ـ ٤٠) .

ـ وقال عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي : رأيت طاووساً وبين عينيه أثر السجود ، سير (٥/ ٤٤) .

٤٤ ـ إبراهيم بن يزيد التيمي الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء :

شدة خشوعه في الصلاة :

قال الأعمش : كان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصافير ، سير (٥/ ٦١) .

حرصه على صلاة الجماعة :

ـ روى عنه منصور قال : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه ، سير (٥/ ٦٢) .

٤٥ ـ عبد الرحمن بن أبي أنعم الإمام الحجة القدوة الرباني أبو الحكم البجلي الكوفي :

ـ قال بكير بن عامر : كان لو قيل له : قد توجه اليك ملك الموت ما كان عنده زيادة عمل ، سير (٥/ ٦٢) .

٤٦ ـ عراك بن مالك الغفاري المدني أحد العلماء العاملين :

ـ كثرة صلاته : قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما أعلم أحداً أكثر صلاة من عراك بن مالك ، سير (٥/ ٦٤) .

٤٧ ـ عطاء بن أبي رباح الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم أبو محمد القرشي مولاهم المكي :

ـ قال ابن جريج : كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة . وكان من أحسن الناس صلاة ، سير (٥/ ٨٤) تذكرة الحفاظ (١/ ٩٨) .

٤٨ ـ بلال بن سعد بن تميم السكوني الإمام الرباني الواعظ أبو عمرو الدمشقي شيخ أهل دمشق .

كثرة صلاته :

ـ قال الاوزاعي : كان من العبادة على شيء لم نسمع أحداً قوي عليه ، كان له كل يوم وليلة ألف ركعة ، سير (٥/ ٩١) .

٤٩ ـ عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الإمام الرباني أبو الحارث الاسدي المدني أحد العباد :

حرصه على الصلاة :

ـ قال مصعب : سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه فقال : خذوا بيدي ، فقيل له : إنك عليل ، قال : اسمع داعي الله فلا أجيبه ، فأخذوا بيده ، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات ، سير (٥/ ٢٢٠) .

ـ وعن مالك قال : ربما انصرف عامر من العتمة فيعرض له الدعاء فلا يزال يدعو إلى الفجر ؛ سير (٥/ ٢٢٠) .

٥٠ ـ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الإمام السيد أبو الخلائف أبو محمد الهاشمي السجاد :

كثرة صلاته وركوعه وسجوده :

ـ ميمون بن زياد : حدثنا أبو سنان قال : كان علي بن عبد الله معنا بالشام وكانت له لحية طويلة يخضبها بالوسمة وكان يصلي كل يوم ألف ركعة ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٨) ذكر عنه الأوزاعي وغيره أنه كان يسجد كل يوم ألف سجدة ، سير (٥/ ٣٥٣) العبر (١/ ١٤٨) .

ـ قال ابن المبارك : كان له خمس مئة شجرة ، يصلي عند كل شجر ركعتين وذلك كل يوم ، سير (٥/٢٥٣) .

ونقل هذا أيضاً عنه من طريق علي بن أبي حملة وأحمد بن محمد بن كريب كما في الحلية (٣/٢٠٧) .

٥١ ـ عاصم بن أبي النجود الإمام الكبير مقرىء العصر أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي .

حبه للصلاة وخشوعه :

ـ زياد بن أيوب حدثنا أبو بكر قال : كان عاصم إذا صلى ينتصب كأنه عود ، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر ، وكان عابداً خيراً يصلي أبداً ، ربما أتى حاجة ، فإذا رأى مسجداً ، قال حل بنا ، فإن حاجتنا لا تفوت ، ثم يدخل ، فيصلي ، سير أعلام النبلاء (٥/٢٥٩) .

٥٢ ـ زبيد بن الحارث اليامي الكوفي الحافظ أحد الأعلام :

ـ قال ابن شبرمة : كان زبيد يجزي الليل ثلاثة أجزاء : جزءاً عليه ، وجزءاً على ابنه ، وجزءاً على ابنه الآخر عبد الرحمن ، فكان هو يصلي ، ثم يقول لأحدهما : قم فإن تكاسل ، صلى جزءه ، ثم يقول للآخر ، قم فان تكاسل أيضاً صلى جزءه فيصلي الليل كله ، سير (٥/٢٩٦) .

٥٣ ـ محمد بن المنكدر الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني قال سعيد بن عامر : قال ابن المنكدر : اني لأدخل في الليل فيهولني فأصبح حين أصبح وما قضيت منه اربي ، سير (٥/٣٥٨) .

٥٤ ـ مالك بن دينار علم العلماء الأبرار معدود من ثقات التابعين :

ـ طول قيامه : جاء عنه لو استطعت لم أنم مخافة أن ينزل العذاب ، يا أيها الناس النار النار. سير (٥/٣٦٤) .

ـ طول تفكره في القيام : عن أبي صالح ختن مالك بن دينار قال : صليت العشاء مع مالك وجاء فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته

فجعل يقول : إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار ، فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال فما زال كذلك حتى طلع الفجر ، حلية الأولياء (٢ / ٣٦١) .

٥٥ ـ منصور بن المعتمر الحافظ الثبت القدوة أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام : .

ـ عن أبي الأحوص قال : قالت بنت لجار منصور بن المعتمر : يا أبة اين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة ؟ قال : يا بنية ذاك منصور ، كان يقوم الليل ، سير (٥/٤٠٣) .

ـ وعن أبي بكر بن عياش قال : رحم الله منصوراً ، كان صواماً قواماً ، سير (٥/٤٠٤) .

ـ وعن زائدة قال : إن منصوراً صام أربعين سنة ، وقام ليلها ، وكان يبكي ، فتقول له أمه : يا بني قتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، فإذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه ، وخرج إلى الناس ، سير (٥/٤٠٦) .

ـ وعن سفيان بن عيينة قال : رأيت منصور بن المعتمر ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي ثم قال سفيان : صام منصور ستين سنة ، يقوم ليلها ويصوم نهارها رحمه الله ، سير (٥/٤٠٨) .

٥٦ ـ أيوب السختياني الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم البصري الآدمي :

قيام الليل كله :

ـ عن سلام قال : كان أيوب السختياني يقوم الليل كله فيخفي ذلك ، فإذا كان عند الصبح ، رفع صوته كأنه قام تلك الساعة ، سير (٦/١٧) تذكرة (١/١٣١) .

٥٧ ـ كرز بن وبرة الحارثي الكوفي الزاهد القدوة أبو عبد الله : ـ

ـ عن فضيل بن غزوان : كان كرز يصلي حتى ترم قدماه ، فيحفر

الحفيرة ـ يعني تحت رجليه ، وقيل : كان كرز لا ينزل منزلاً إلا ابتنى فيه مسجداً فيصلي فيه ، سير (٦/ ٨٥) .

٥٨ ـ محمد بن واسع بن جابر الإمام الرباني القدوة أبو بكر وقيل أبو عبد الله الأزدي البصري أحد الأعلام :

خشوعه :

ـ روى المعتمر عن أبيه : ما رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع ، سير (٦/ ١٢٠) .

ـ وعن أبي الطيب موسى بن يسار قال : صحبت محمد بن واسع إلى مكة فكان يصلي الليل أجمعه ، يصلي في المحمل جالساً ويومىء برأسه ايماءً ، وربما عرس بالليل ، فينزل فيصلي ، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً يجيء عليه فيقول : الصلاة الصلاة ، حلية الأولياء (٢/ ٣٤٦) سير (٦/ ١٢١) .

٥٩ ـ عطاء الخراساني هو عطاء بن أبي سليم المحدث الواعظ نزيل دمشق والقدس :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : كنا نغازي عطاء الخراساني ، وننزل متقاربين فكان يحيي الليل ، ثم يخرج رأسه من خيمته ويقول : يا عبد الرحمن ، يا هشام بن الغاز ، يا فلان ، قيام الليل ، وصيام النهار ، أيسر من شرب الصديد ، ولبس الحديد ، وأكل الزقوم ، والنجاء النجاء ، سير (٦/ ١٤٣) .

٦٠ ـ يزيد بن أبي سمية المحدث ابو صخر الأيلي :

قال الذهبي : كان من العباد يصلي الليل كله ويبكي ، سير (٦/ ١٣٣) .

٦١ ـ سليمان بن طرخان الإمام شيخ الإسلام أبو المعتمر التيمي البصري :

ـ قال ابن سعد : كان من العباد المتهجدين ، كثير الحديث ثقة ،

يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد . فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا ، وكان سليمان مائلاً إلى علي رضي الله عنه ، سير (٦/١٩٧) .

ـ وعن محمد بن الأعلى قال لي : معتمر بن سليمان ، لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي : مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة ، سير (٦/١٩٧) .

ـ وعن الأنصاري قال : كان عامة دهر التيمي يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد ، وكان يسبح بعد العصر إلى المغرب ويصوم الدهر ، سير (٦/١٩٩) تذكرة (١/١٥٠) .

ـ وعن يحيى القطان قال : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة ، سير (٦/١٩٩) .

ـ وعن ابن المبارك وغيره قال : أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام جامع البصرة يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد ، حلية (٣/٢٩) .

طول صلاته : وكثرتها :

ـ عن سعيد بن عامر الضبعي : كان سليمان التيمي يسبح الله في كل سجدة سبعين تسبيحة ، تذكرة الحفاظ (١/١٥١) .

ـ وقال جرير : لم ير سليمان التيمي ساعة قط إلا تصدق بشيء فإن لم يكن صلى ركعتين (تذكرة (١/١٥١) ، سير (٦/١٩٩) .

٦٢ ـ سليمان بن مهران الأعمش شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الاسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ : ـ

قيامه الليل :

ـ قال أبو خالد : ذكر الأعمش يعني حديث (ذاك بال الشيطان في اذنه) فقال : ما أرى عيني عمشت إلا من كثرة ما يبول الشيطان في أذني ، وما أظنه فعل هذا قط ، يعلق الذهبي بقوله : يريد أن الأعمش كان صاحب ليل وتعبد ، سير (٦/٢٣٢) .

٦٣ ـ عبد الله بن عون بن أرطبان الإمام القدوة عالم البصرة أبو عون المزني مولاهم البصري الحافظ : .

اجتهاده في العبادة :

ـ قال يونس بن عبيد : أني لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يسلم له يوم من أيام ابن عون ، فما يقدر عليه ، سير (٦/٣٦٦) .

ـ وقال ابن المبارك : ما رأيت مصلياً مثل ابن عون ، سير (٦/٣٦٦) ، تذكرة الحفاظ (١/١٥٦) .

ـ وقال روح بن عبادة : ما رأيت أعبد من ابن عون ، سير (٦/٣٦٦) .

ـ وقال قره بن خالد : كنا نعجب من ورع محمد بن سيرين فانساناه ابن عون ، سير (٦/٣٦٦) .

ـ وقال الذهبي كان ابن عون عديم النظير في وقته زُهداً وصلاة ، سير (٦/٣٧٥) .

٦٤ ـ مصعب بن ثابت بن الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام القدوة الإمام أبو عبد الله الأسدي الزبيري المدني .

كثرة صلاته :

ـ عن يحيى بن مسكين قال : ما رأيت أحداً قط أكثر صلاة من مصعب بن ثابت . كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر . سير (٧/٢٩) .

ـ وقالت أسماء بنت مصعب كان أبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، سير (٧/٢٩) .

ـ وقال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح : كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر ، ويصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، يبس من العبادة ، وكان من أبلغ أهل زمانه ، سير (٧/٢٩) .

٦٥ ـ عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو : .

ـ قال الوليد بن مزيد : كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوي عليه ، ما أتى عليه زوالٌ قط الا وهو قائم يصلي ، سير (٧/ ١١٩) تذكرة (١/ ١٧٩) .

ـ وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي ، سير (٧/ ١١٩) .

ـ وقال مروان الطاطري قال الاوزاعي : من أطال قيام الليل هون الله عليه وقوف يوم القيامة ، سير (٧/ ١١٩) .

ـ عن صخرة بن ربيعة قال : حججنا مع الاوزاعي سنة خمسين ومائة ، فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط ، كان يصلي ، فإذا غلبه النوم ، استند إلى القتب ، سير (٧/ ١١٩) .

شدة خشوعه في الصلاة :

ـ حدثنا البشر بن المنذر قال : رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع ، سير (٧/ ١١٩) تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٩) وعن أبي مسهر قال : ما رئي الأوزاعي باكياً قط ، ولا ضاحكاً حتى تبدو نواجذه ، وإنما كان يبتسم أحياناً كما روي في الحديث ، وكان يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاءً . وأخبرني بعض أخواني من أهل بيروت : أن أمه كانت تدخل منزل الاوزاعي ، وتتفقد موضع مصلاه ، فتجده رطباً من دموعه في الليل ، سير (٧/ ١١٩ ـ ١٢٠) تذكرة (١/ ١٧٩) .

٦٦ ـ أبو حنيفة الإمام فقيه الملة عالم العراق النعمان بن ثابت بن زوطى التميمي الكوفي إمام الأئمة الفقهاء :

شدة اجتهاده في قيام الليل :

ـ عن أسد بن عمرو : أن أبا حنيفة رحمه الله صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة ، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٩) تهذيب الاسماء واللغات

(٢٢٠/٢) مناقب الإمام أبي حنيفة للكردري (٢٤١/١ ، ٢٤٢) .

ـ وعن أبي يوسف القاضي قال : بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة ، إذ سمعت رجلاً يقول لآخر : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ، فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عني بما لم أفعل ، فكان يحيي الليل صلاةً وتضرعاً ودعاءً ، سير (٣٩٩/٦) تهذيب الاسماء واللغات (٢٢٠/٢) مرآة الجنان (٣١٠/١) .

وقد روي من وجهين أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة ، سير (٣٩٩/٦) .

فعن أبي يوسف القاضي قال : كان أبو حنيفة يختم القرآن كل ليلة في ركعة ، سير (٤٠٠/٦) .

وقال مسعر بن كدام : رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة ، سير (٤٠٠/٦) تهذيب الأسماء (٢٢٠/٢) .

وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته ، سير (٤٠١/٦) تهذيب الاسماء (٢٢٠/٢) .

وعن سفيان بن عيينة قال : ما قدم مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة من أبي حنيفة ، تهذيب الأسماء (٢٢٠/٢) .

ـ وعن عبد الحميد الحماني أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال : فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة وكان يختم كل ليلة عند السحر ، سير (٤٠/٦) .

ولمزيد من أخباره أنظر الخيرات الحسان صفحة (٥٠) أبو حنيفة إمام الائمة الفقهاء صفحة (٧٤) ، أخبار أبي حنيفة (٤١ ـ ٤٣) .

٦٧ ـ محمد بن إدريس الشافعي الإمام عالم العصر وناصر الحديث فقيه الملة ابو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي .

قيام الليل :

ـ يقول ابن الربيع : كان الشافعي يحيي الليل إلى أن مات ، شذرات الذهب (١٠/٢) .

ـ ويقول حسين بن علي الكرابيسي : بت مع الشافعي ثمانين ليلة ـ وكان يصلي نحو ثلث الليل وما رأيته يزيد على خمسين آية ـ يعني في الركعة ـ وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات ، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله وسأل الله النجاة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات ، مناقب الرازي (١٢٧) توالي التأسيس (٦٨) تاريخ ابن عساكر (١/١١/١٥) سير (٣٥/١٠) .

ـ وعن الربيع : كان الشافعي قد جزء الليل ثلاثة أجزاء : الثلث الأول يكتب والثلث الثاني يصلي ، والثلث الثالث ينام ، صفة الصفوة (١٤٤/٢) حلية (١٣٥/٩) سير (٣٥/١٠) .

ـ وكان رحمه الله لا يقرأ قرآناً إلا في صلاة يقول المزني : ما رأيت الشافعي قرأ قرآناً قط بالليل ، إلا وهو في الصلاة ، توالي التأسيس (٦٨) .

ـ وعن الربيع : قال : نمت في منزل الشافعي ليالي فلم يكن ينام إلا يسيراً من الليل ، تهذيب الأسماء واللغات (٥٤/١) .

٦٨ ـ أحمد بن حنبل هو الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، أبو عبد الله الذهلي الشيباني أحد الائمة الاعلام .

كثرة صلاته :

ـ قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقد كان قارب من الثمانين ، حلية الأولياء (١٨١/٩) سير (٢١٢/١١) .

ـ وقال عبد الله أيضاً : كان أبي لا يفتر عن الركعات بين العشاءين ولا بعدها في ورده من صلاة الليل ، وكان ساعة يصلي العشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو ، وقال إبراهيم بن شماس : كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل ، مناقب الإمام أحمد (٢٨٨) .

ـ ويقول هلال بن العلاء : خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن

حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع ، فأما الشافعي فإنه استلقى ، ويحيى بن معين استلقى أيضاً ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ، فلما أصبحوا قال الشافعي : لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة . وقيل ليحيى بن معين : أي شيء عملت ؟ قال : نفيت عن النبي ﷺ مائتي كذاب ، وقيل لأحمد بن حنبل فأنت ؟ قال : صليت ركعات ختمت فيها القرآن ، مناقب أحمد (٢٨٦) .

ـ وقال المروذي : رأيت أبا عبد الله يقوم لورده قريباً من نصف الليل حتى يقارب السحر ، ورأيته يركع فيما بين المغرب والعشاء ، سير (١١/٢٢٢) .

ـ وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام باسمائهم : وكان يكثر من الدعاء ويخفيه ، ويصلي بين العشاءين ، فإذا صلى عشاء الآخر ، ركع ركعات صالحة ، ثم يوتر وينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فيصلي وكانت قراءته لينة ، ربما لم أفهم بعضها ، وكان يصوم ويدمن ، ثم يفطر ما شاء الله ، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض ، فلما رجع من العسكر ، أدمن الصوم إلى أن مات ، سير (١١/٢٢٣) .

ـ وقال عبد الله بن أحمد : كان أبي يقرأ كل يوماً سبعاً ، وكان ينام نومة خفيفة بعد العشاء ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو ، سير (١١/٢١٤ ـ ٢١٥) .

٦٩ ـ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد :

كان سفيان يوصي بصلاة التهجد ويهتم بها :

ـ قال محمد بن يوسف : كان سفيان يقيمنا بالليل ، ويقول : قوموا يا شباب صلوا ما دمتم شباباً ، التقدمة في الجرح والتعديل ص (٩٦) .

ـ قال إسحاق بن إبراهيم : كنا في مجلس الثوري وهو يسأل رجلاً رجلاً عما يصنع في ليله ، فيخبره حتى دار القوم فقالوا : يا أبا عبد الله قد سألتنا

فأخبرناك ، فأخبرنا أنت كيف تصنع في ليلك ؟ فقال : لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا امنعها فإذا استيقظت فلا اقيلها والله ، حلية الأولياء (٧/ ٦٠) .

ـ يقول عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت في الناس رجلاً هو أرق من سفيان : قال : وكنت أرافقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا في أول الليل ، ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادي : النار شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات كأنه يخاطب رجلاً في البيت ، ثم يدعو بماء إلى جانبه فيتوضأ ثم يقول على أثر وضوئه : اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم بما أطلب ، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار ، اللهم إن الجزع قد أرقني من الخوف فلا يؤمني ، وكل هذا من نعمتك السابغة علي وكذلك فعلت بأوليائك وأهل طاعتك ، إلهي قد علمت أن لو كان لي عذر في التخلي ما اقمت مع الناس طرفة عين ، ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى اني كنت لا استطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

ـ قال ابن مهدي : وما كنت أقدر أنظر إليه استحياء وهيبة منه ، حلية (٧/ ٦٠) سير (٧/ ٢٧٦ ، ٢٧٧) .

ـ وقال عبد الرزاق : لما قدم سفيان علينا ، طبخت له قدر سكباج[٧] ، فأكل ، ثم أتيته بزبيب الطائف فأكل ، ثم قال : يا عبد الرزاق ! أعلف الحمار وكده ، ثم قام يصلي حتى الصباح ، سير (١١/ ٢٤٣) (١١/ ٢٧٧) .

ـ وعن علي بن الفضيل قال : رأيت الثوري ساجداً ، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه ، سير (٧/ ٢٧٧) .

٧٠ ـ هناد بن السري الحافظ القدوة الزاهد شيخ الكوفة أبو السري التميمي الدارمي المحدث :

ـ قال أحمد بن سلمة النيسابوري : كان هناد كثير البكاء فرغ يوماً من

---

(٧) سكباج : لحم يطبخ بخل .

القراءة لنا فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال وأنا معه في المسجد ثم رجع إلى منزله فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر ثم قام على رجليه يصلي إلى العصر ، ويرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيراً ثم صلى بنا العصر وأخذ يقرأ في المصحف حتى صليت المغرب . قلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ؟ فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة فكيف لو رأيت عبادته بالليل ، وما تزوج وما تسرى وكان يقال له : راهب الكوفة ، تذكرة الحفاظ (٥٠٧/٢) سير (٤٦٦/١١) .

٧١ ـ ابن أبي ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة الإمام شيخ الإسلام ابو الحارث العامري المدني الفقيه :

ـ قال الواقدي تلميذه : كان يصلي الليل أجمع ، ويجتهد في العبادة ، ولو قيل له : إن القيامة تقوم غداً ، ما كان فيه مزيد من الاجتهاد ، سير (١٤١/٧) تذكرة (١٩١/١) العبر (٢٣١/١) مرآة الجنان لليافعي (٣٤٠/١) .

٧٢ ـ مسعر بن كدام بن ظهير الإمام الثبت شيخ العراق ابو سلمة الهلالي الكوفي الأحول الحافظ :

ـ عن خالد بن عمرو قال : رأيت مسعراً كأن جبهته ركبة عنز من السجود ، تذكرة الحفاظ (١٨٨/١) .

٧٣ ـ عبد الواحد بن زيد الزاهد القدوة شيخ العباد أبو عبيدة البصري :

ـ عن محمد بن عبد الله الخزاعي قال : صلى عبد الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة ، سير (١٧٩/٧) .

٧٤ ـ عبد العزيز بن أبي رواد شيخ الحرم المكي أحد الائمة العباد :

طول القيام :

ـ قال أبو عبد الرحمن المقرىء : ما رأيت أحداً قط أصبر على طول القيام من عبد العزيز بن أبي رواد ، سير (١٨٥/٧) .

٧٥ ـ شعبة بن الحجاج بن الورد الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي عالم أهل البصرة وشيخها :

طول صلاته وحسنها :

ـ عن أبي قطن قال : ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه نسي ، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي ، سير (٢٠٧/٧) تاريخ بغداد (٢٦١/٩) .

ـ قال أبو بحر البكراوي : ما رأيت أحداً أعبد لله من شعبة ، لقد عبد الله حتى جف جلده على عظمه وأسود ، سير (٢٠٩/٧) تذكرة الحفاظ (١٩٣/١) .

ـ وقال حمزة بن زياد الطوسي : سمعت شعبة وكان الثغ ، قد يبس جلده من العبادة ، سير (٢٠٩/٧) تذكرة (١٩٣/١) .

ـ وقال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت أحداً أمعن في العبادة من شعبة رحمه الله ، سير (٢١٠/٧) .

ـ وقال الهروي : رأيت شعبة يصلي حتى ترم قدماه ، العبر (٢٢٥/١) .

٧٦ ـ الحسن بن صالح الإمام الكبير أحد الأعلام أبو عبد الله الهمذاني النوري الكوفي العابد : عن وكيع قال : كان الحسن بن صالح وأخوه وأمهما ، قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء ، فكل واحد يقوم ثلثاً ، فماتت أمهما ، فاقتسما الليل ، ثم مات علي ، فقام الحسن الليل كله ، سير (٣٦٩/٧) حلية الأولياء (٣٢٨/٧) وله رواية أخرى عنده تذكرة الحفاظ (٢١٦/١) تهذيب التهذيب (٢٨٨/٢) .

٧٧ ـ إبراهيم بن أدهم القدوة الإمام العارف سيد الزهاد أبو إسحاق العجلي :

قيام الليل بأكمله :

ـ قال علي بن بكار : كان إبراهيم من بني عجل ، كريم الحسب ، وإذا حصد ارتجز وقال :

اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً .

وكان يلبس فرواً بلا قميص ، وفي الصيف شقتين بأربعة دراهم . ازار ورداء ، ويصوم في الحضر والسفر ، ولا ينام الليل ، وكان يتفكر ، ويقبض أصحابه أجرته ، فلا يمسها بيده ويقول : كلوا بها شهواتكم ، وكان ينطر ، وكان يطحن بيد واحدة مدين من قمح ، سير أعلام النبلاء (٧/٣٩٢ ـ ٣٩٣) الحلية (٧/٣٧٨) البداية والنهاية (١٠/١٣٨ ـ ١٣٩) تهذيب ابن عساكر (٢/١٨٢ ـ ١٨٣) .

٧٨ ـ أبو عبيد الله الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار الاشعري مولاهم الطبراني الشامي الكاتب أحد رجال الكمال حزماً ورأياً ، وعبادة وخيراً .

ـ قال حفيده عبيد الله بن سليمان : أبلى جدنا سجادتين وشرع في ثالثة موضع ركبتيه ووجهه ويديه من كثرة صلاته رحمه الله ، سير (٧/٣٩٨) .

٧٩ ـ داود الطائي الإمام الفقيه القدوة الزاهد أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي أحد الأولياء :

ـ قال إسحاق السلولي : حدثتني أم سعيد ، قالت : كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير ، فكنت أسمع حنينه عامة الليل ، لا يهدأ ، وربما ترنم في السحر بالقرآن ، فأرى أن جميع النعيم قد جمع في ترنمه ، وكان لا يُسرج عليه ، سير (٧/٤٢٤) الحلية (٧/٣٥٧) بزيادة .

٨٠ ـ حماد بن سلمة بن دينار الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة البصري النحوي البزاز الخرقي البطائني .

ـ قال عبد الرحمن بن مهدي : لو قيل لحماد بن سلمة : إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً ، قلت : كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد ، سير (٧/٤٤٧) تذكرة الحفاظ (١/٢٠٣) .

ـ قال يونس بن محمد المؤدب : مات حماد بن سلمة في الصلاة في

المسجد ، سير (٧/٤٤٨) الحلية (٦/٢٥٠) تذكرة (١/٢٠٣) .

ـ وقال عفان : قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ، ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير قراءة القرآن والعمل لله منه ، تذكرة الحفاظ (١/٢٠٣) سير (٧/٤٤٧) .

٨١ ـ سعيد بن عبد العزيز الإمام القدوة مفتي دمشق ابو محمد التنوخي الدمشقي :

خشوع في الصلاة :

ـ أبو النضر إسحاق بن إبراهيم ، قال : كنت اسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة ، سير (٨/٣٤) تذكرة (١/٢١٩) .

ـ أحمد بن أبي الحواري : حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي : قال : قلت : لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن هذا ؟ قلت : لعل الله أن ينفعني به ، فقال : ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم ، سير (٨/٣٤) تذكرة الحفاظ (١/٢١٩) .

ـ وعن مروان بن محمد الطاطري : قال محمد بن المبارك الصوري : كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى ، سير (٨/٣٤) تذكرة الحفاظ (١/٢١٩) .

ـ عن الوليد بن مسلم قال : كان سعيد بن عبد العزيز يحيي الليل ، فإذا طلع الفجر جدد وضوءه وخرج إلى المسجد ، سير (٨/٣٥) تذكرة الحفاظ (١/٢١٩) .

٨٢ ـ مفضل بن فضالة بن عبيد الإمام العلامة الحجة القدوة قاضي مصر أبو معاوية القتباني المصري :

ـ قال عيسى بن زغبة : كان المفضل قاضياً علينا ، وكان مجاب الدعوة ، وكان مع ضعف بدنه يطيل القيام ، سير (٨/١٧٢) .

٨٣ ـ رابعة العدوية البصرية الزاهدة العابدة الخاشعة أم عمرو رابعة بنت اسماعيل :

ـ عن عبدة بنت أبي شوال وكانت تخدم رابعة العدوية قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر ، هجعت هجعة حتى يسفر الفجر ، فكنت اسمعها تقول : يا نفس كم تنامين ، وإلى كم تقومين ، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور ، سير (٨/٢٤٢) .

٨٤ ـ إسماعيل بن عياش بن سليم الحافظ الإمام محدث الشام بقية الأعلام أبو عتبة الحمصي العنسي مولاهم :

ـ عن أبي اليمان قال : كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي ، فكان يحيي الليل ، وكان ربما قرأ ، ثم يقطع ثم رجع فقرأ من الموضع الذي قطع منه ، فلقيته يوماً ، فقلت : يا عم ، قد رأيت منك في القراءة كيت وكيت ، قال : يا بني ، وما سؤالك ؟ قلت : أريد أن أعلم . قال : يا بني . إني أصلي ، فاقرأ ، فاذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها ، فاقطع الصلاة ، فأكتبه فيه ، ثم ارجع إلى صلاتي ، فابتدىء من الموضع الذي قطعت منه ، سير (٨/٣١٥) .

٨٥ ـ بشر بن منصور الإمام المحدث الرباني القدوة أبو محمد الأزدي السليمي البصري الزاهد :

كثرة صلاته :

ـ قال علي بن المديني : ما رأيت أخوف لله منه كان يصلي كل يوم خمس مئة ركعة ، سير (٨/٣٦٠) .

ـ قال غسان : حدثني ابن أخي بشر : قال : ما رأيت عمي فاتته التكبيرة الأولى ، وأوصاني في كتبه ان أغسلها ، أو أدفنها، سير (٨/٣٦٠) .

٨٦ ـ عبد الله بن المبارك بن واضح الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته ، أبو عبد الرحمن الحنظلي ، مولاهم التركي ، المروزي الحافظ الغازي أحد الاعلام .

ـ قال نعيم بن حماد : قال رجل لابن المبارك قرأت البارحة القرآن في ركعة ، فقال : لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر ألهاكم التكاثر ، إلى الصبح ، ما قدر أن يتجاوزها ـ يعني نفسه ، سير (٨/٣٩٧) .

ـ وقال نعيم : ما رأيت أعقل من ابن المبارك ولا أكثر اجتهاداً في العبادة ، سير (٨/٤٠٥) .

ـ وعن عبد الكريم السكري : قال : كان عبد الله يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود ، سير (٨/٤٠٦) .

٨٧ ـ ضيغم بن مالك الزاهد القدوة الرباني أبو بكر الراسبي البصري :

كثرة صلاته :

ـ قال ابن الاعرابي : كان ورده في اليوم والليلة أربع مئة ركعة ، وصلى حتى انحنى ، وكان من الخائفين البكائين .

ـ وقال علي بن المديني : دفن ضيغم كتبه ، وكان ينام ثلث الليل ، ويتعبد ثلثيه ، سير (٨/٤٢١) .

٨٨ ـ الفضيل بن عياض بن مسعود الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله .

ـ عن إسحاق بن إبراهيم الطبري قال : ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ، ولا أرجى للناس من الفضيل كانت قراءته حزينة ، شهية ، بطيئة ، مترسلة ، كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة ، يردد فيها ويسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً ، يلقى له الحصير في مسجده ، فيصلي من أول الليل سنحة ، ثم تغلبه عينه ، فيلقي نفسه على الحصير ، فينام قليلاً ، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ، ثم يقوم هكذا حتى يصبح ، وكان دأبه إذا نعس أن ينام ويقال : أشد العبادة ما كان هكذا ، سير (٨/٤٢٧ ـ ٤٢٨) .

٨٩ ـ أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي مولاهم الكوفي الحناط

المقرىء الفقيه المحدث شيخ الإسلام وبقية الأعلام مولى واصل الأحدب :

ـ روى يحيى بن أيوب : عن أبي عبد الله النخعي قال : لم يفرش لابي بكر بن عياش فراش خمسين سنة ، سير (٨/٤٩٩) .

ـ وقد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة ، سير (٨/٥٠٣) .

ـ وقال ابن حجر في التهذيب (١٢/٣٦) ولد سنة ٩٥ أو ٩٦ ومات وكان قد صام سبعين سنة وقامها وكان لا يعلم له بالليل نوم .

٩٠ ـ القاضي أبو يوسف الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي .

ـ عن ابن سماعة قال : كان ورد أبي يوسف في اليوم مئتي ركعة ، سير (٥/٥٣٧) تذكرة (١/٢٩٣) .

٩١ ـ بشر بن المفضل بن لاحق الإمام الحافظ المجود أبو اسماعيل الرقاشي مولاهم البصري :

ـ عن علي بن المديني قال : كان بشر بن المفضل يصلي كل يوم اربع مئة ركعة ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً ، وذكر عنده إنسان من الجهمية فقال : لا تذكروا ذاك الكافر ، سير (٩/٣٧) تذكرة الحفاظ (١/٣١٠) .

٩٢ ـ عبد الرحمن بن القاسم عالم الديار المصرية ومفتيها أبو عبد الله الثقفي مولاهم المصري صاحب مالك :

ـ قال سعيد بن الحداد : سمعت سحنون يقول : كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل ، يقول لي : يا سحنون ، أنت فارغ ، إني لاحس في رأسي دوياً كدوي الرحا ـ يعني من قيام الليل ـ قال : وكان قلما يعرض لنا الا وهو يقول : اتقوا الله فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير ، وكثيره مع غير تقوى الله قليل ، سير (٩/١٢٢) .

٩٣ ـ وكيع بن الجراح بن مليح الإمام الحافظ محدث العراق أبو سفيان الرؤاسي الكوفي أحد الأعلام :

اجتهاده في القيام : ـ كان يقوم الليل كله :

ـ عن يحيى بن أكثم يقول : صحبت وكيعاً في الحضر والسفر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة. سير (١٤٢/٩) تذكرة (٣٠٧/١) المنهج الأحمد (٥٩/١) .

ـ وقال أحمد بن أبي الحواري : ما رأيت فيمن لقيت أخشع من وكيع ، سير (١٤٨/٩) .

ـ وعن يحيى بن معين قال : ما رأيت أفضل من وكيع ، قيل : ولا ابن المبارك ؟ قال : قد كان ابن المبارك له فضل ، ولكن ما رأيت أفضل من وكيع ، كان يستقبل القبلة ، ويحفظ حديثه ، ويقوم ليله ، ويسرد الصوم ، ويفتي بقول ابي حنيفة رحمه الله ، وكان قد سمع منه كثيراً ، سير (١٤٨/٩) تاريخ بغداد (١٣/ ٤٧٠ ، ٤٧١) .

ـ وعن يحيى بن أيوب ، عن بعض أصحاب وكيع الذين كانوا يلزمونه أن وكيعاً كان لا ينام حتى يقرأ جزءه من كل ليلة ثلث القرآن ، ثم يقوم في آخر الليل ، فيقرأ المفصل ، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر ، سير (١٤٨/٩ ـ ١٤٩) .

ـ عن إبراهيم بن وكيع قال : كان أبي يصلي ، فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلى حتى جارية سوداء لنا ، سير (١٤٩/٩) .

ـ وقال أحمد بن سنان : رأيت وكيعاً إذا قام في الصلاة ليس يتحرك منه شيء ، لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى ، سير (١٥٧/٩) .

٩٤ ـ عبد الرحمن بن مهدي بن حسان الإمام الناقد المجود ، سيد الحفاظ ابو سعيد العنبري مقيل الازدي مولاهم البصري اللؤلؤي :

ـ قال عبد الرحمن بن رستة : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن مهدي أن أباه قام ليلة ، وكان يحيي الليل كله ، قال : فلما طلع الفجر ، رمى بنفسه على الفراش حتى طلعت الشمس ، ولم يصل الصبح ، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض شيئاً شهرين ، فقرح فخذاه جميعاً ، سير

(١٩٦/٩) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٣٠) حلية الأولياء (١٢/٩) .

ـ وقال علي بن المديني : كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن ، سير (٢٠٣/٩) .

ـ وقال ابن المديني : دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدي وكنت ازورها بعد موته ، فرأيت سواداً في القبلة ، فقلت : ما هذا ؟ قالت : موضع استراحة عبد الرحمن ، كان يصلي بالليل ، فإذا غلبه النوم وضع جبهته عليه ، سير (١٩٩/٩) .

٩٥ ـ يزيد بن هارون الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمي مولاهم الواسطي الحافظ :

كثرة صلاته :

ـ قال أحمد بن سنان القطان : ما رأينا عالماً قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون ، لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار ، سير (٩/ ٣٦٠) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٠) .

ـ عن عاصم بن علي قال : كنت أنا ويزيد بن هارون عند قيس بن الربيع ، فأما يزيد فكان إذا صلى العتمة لم يزل قائماً حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيفاً وأربعين سنة ، سير (٩/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) تاريخ بغداد (٣٤١/١٤) .

قيام الليل كله :

ـ قال محمد بن إسماعيل الصائغ نزيل مكة : قال رجل ليزيد بن هارون : كم جزؤك ؟ قال : وأنام من الليل شيئاً ؟ إذاً لا أنام الله عيني ، سير (٣٦١/٩ ، تاريخ بغداد (٣٤١/١٤) .

ـ وقال أحمد بن سنان : كان يزيد وهشيم معروفين بطول صلاة الليل والنهار ، سير (٣٦١/٩) .

صلاة النافلة بالنهار :

ـ قال أحمد بن عبد الله العجلي : يزيد بن هارون ثقة ثبت حسن

الصلاة جداً يصلي الضحى ست عشرة ركعة ، بها الجودة غير قليل ، قال : وكان قد عمي ، سير (٩/ ٣٦١) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤١) .

٩٦ ـ علي بن بكار الإمام الرباني العابد أبو الحسن البصري الزاهد :

ـ وقال موسى بن طريف : كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار ، فيلمسه ويقول : والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله لا علوتك الليلة ، وكان يصلي الفجر بوضوء العتمة ، سير (٩/ ٥٨٥) حلية الأولياء (٩/ ٣١٨) .

٩٧ ـ أبو عبيد الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون القاسم بن سلام بن عبد الله .

ـ قال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد رحمه الله يقسم الليل اثلاثاً فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه ، سير (١٠/ ٤٩٧) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٨) نزهة الألباء (١٣٨) وانباه الرواة (٣/ ١٨) وطبقات الشافعية (٢/ ١٥٤) .

٩٨ ـ ابن سماعة قاضي بغداد العلامة أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عبيد الله بن هلال التميمي الكوفي صاحب أبي يوسف ومحمد .

ـ قال أحمد بن عطية : كان ورده في اليوم مئتي ركعة ، سير (١٠/ ٦٤٦) تاريخ بغداد (٥/ ٣٤٣) .

ومن حرصه على الصلاة ما جاء عن محمد بن عمران : سمعته يقول : مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أمي ، فصليت خمساً وعشرين صلاة ، أريد التضعيف، سير (١٠/ ٦٤٦) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٤٢ ، ٣٤٣) .

٩٩ ـ بشر بن الوليد بن خالد الإمام العلامة المحدث الصادق قاضي العراق أبو الوليد الكندي الحنفي :

ـ قال الذهبي : بلغنا أنه كان إماماً ، واسع الفقه ، كثير العلم صاحب حديث وديانة وتعبد ، وقيل : كان ورده في اليوم مئتي ركعة ، وكان يحافظ

عليها بعدما فلج واندك رحمه الله ، سير (١٠/ ٦٧٤) تاريخ بغداد (٨١/٧ ، ٨٢) .

١٠٠ ـ أحمد بن حرب بن فيروز الإمام القدوة شيخ نيسابور أبو عبد الله النيسابوري الزاهد كان من كبار الفقهاء والعباد :

ـ قال الحاكم حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوفي حدثني أبو عمرو محمد بن يحيى قال : مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسكوا ، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل ، فقبض على لحيته وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأحيى الليل بعد ذلك حتى مات ، سير (١١/ ٣٣) .

١٠١ ـ أحمد بن أبي الحواري واسم أبيه عبد الله بن ميمون ، الحافظ الإمام القدوة شيخ أهل الشام أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد أحد الأعلام أصله من الكوفة :

قيام الليل وبكاءه :

ـ قال أحمد بن عطاء سمعت عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري يقول : كنا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول : قد مات ثم نسمع ضحكه حتى نقول قد جن ، سير (١٢/ ٨٧) .

ـ وقال محمد بن عوف الحمصي : رأيت أحمد بن أبي الحواري بانطرسوس ، فلما صلى العتمة قام يصلي فاستفتح بالحمد لله إلى إياك نعبد وإياك نستعين . فطفت الحائط كله ، ثم رجعت ، فإذا هو لا يجاوزها ، ثم نمت ومررت في السحر ، وهو يقرأ (إياك نعبد) فلم يزل يرددها إلى الصبح ، سير (١٢/ ٨٨) .

١٠٢ ـ السري بن مغلس السقطي الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو الحسن البغدادي :

ـ قال الجنيد : ما رأيت أعبد لله من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت ، سير (١٢/ ١٨٦) النجوم الزاهرة (٢/ ٣٣٩) .

١٠٣ ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري أبو عبد الله جبل الحفظ ، وامام الدنيا ، وأمير المؤمنين في الحديث :

خشوعه في الصلاة :

ـ عن بكر بن منير قال : كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات ليلة ، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، فلما قضى صلاته ، قال انظروا ايش آذاني ، طبقات الحنابلة (١/٢٧٦) تاريخ بغداد (٢/١٢) مقدمة الفتح (٤٨١) سير (١٢/٤٤١) .

محافظته على قيام الليل :

ـ عن محمد بن أبي حاتم الوراق : كان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم ، فقلت : أراك تحمل على نفسك ، ولم توقظني ، قال : أنت شاب ، ولا أحب أن أفسد عليك نومك ، سير (١٢/٤٤١) تاريخ بغداد (٢/١٣ ـ ١٤) ، طبقات السبكي (٢/٢٢٠) ، مقدمة الفتح (٤٨٢) .

ـ وعن محمد بن يوسف الفربري قال : قال البخاري ما كتبت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، مقدمة فتح الباري ص (٧) .

١٠٤ ـ المحدث الثقة بشر بن الحسن يقال له : الصفي :

كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة فسمي الصفي ، تهذيب التهذيب (١/٤٤٧) .

١٠٥ ـ شداد بن أوس صحابي رسول الله وهو بن ثابت الأنصاري :

ـ عن أسد بن وداعة عن شداد أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على الفراش لا يأتيه النوم فيقول : اللهم إن النار أذهبت عني النوم فيقوم فيصلي حتى يصبح ، حلية الأولياء (١/٢٦٤) .

وهذا ليس كل الخير والإجتهاد الذي كان عند سلفنا الصالح وإنما هي نماذج سقتها من أجل توضيح أمر الإجتهاد في عبادة الصلاة وقيام الليل والخير

كثير في سلفنا الصالح وكتب التـراجم مليئة بمثـل هذه النمـاذج وإنما اختـرت هذه النماذج من القرون الخيرة الثـلاث فقط . والله الموفق والهـادي إلى سواء السبيل .

الفصل الثاني

« الصوم »

الصيام وآثاره التربوية :

إن حقيقة الإنسان أنه لطيفة ربانية ، وجوهرة روحانيـة اودعها الله تعـالى في جسد الإنسان ، بها يفكر ويعقـل ، وبها يشعـر ويتذوق ، وبهـا يدبـر ملك الأرض ، ويتطلع إلى ملكوت السموات ، فهو روح علوي ، وجسـد سفلي ، والجسـد بيت ، والروح سـاكنة وصـاحبة ، والجسـد مـطية ، والـروح راكب مسافر ، ولم يخلق البيت لنفسـه ، ولا المطيـة لذاتهـا ، ولكن البيت لمصلحة السـاكن ، والمـطيـة لمنفعـة الـراكب ، فـالعجيب من النـاس حين يهملون أرواحهم ويعبدون أجسادهم ، ويركضون وراء إشباع غرائزهم وشهواتهم .

وعندما يعرف الإنسان قيمة نفسه ، ويدرك سر الله فيه ، يعلم حق العلم ان المطلوب منه أن يعنى بجانبه الـروحي ، وأشواقـه السماويـة ، ويغلب هذه الأشـواق على نوازع الجسـد يصل إلى مـرحلة من الوعي عـاليـة ، وإذا غلب الغرائز والشهوات السفلية على الأشواق العلوية فإنه يغدو حيوانيـاً شهوانيـاً قد حكم غريزته في عقله ، كما تفعل الحيوانـات ، ولهذا فـإن الإنسان إنمـا كان كذلك بنفسه وروحه لا بجسده الفاني :

يـا خادم الجسم كم تسعى لخـدمتـه   أتـطلب الـربـح ممـا فيـه خسـران
أقبل على النفس واستكمل فضـائلها   فـأنت بـالنفس لا بـالجسم إنسـان

لأجل هذا شرع الله تبارك وتعالى الصوم ، كأسلوب عملي في التربية الربانية ، أسلوب له أثره العميق في تهذيب النفس وتشذيبها ، في تعبيدها لله رب العالمين ، ولهذا فإن الرسول ﷺ دعا من سلك سبيل الله من المؤمنين والدعاة ، إلى ترويض نفوسهم ، وتعويدها على شظف العيش ، وخشونة الحياة ، وحرمانها أحياناً مما تحب وتهوى ، حتى يسلس قيادها ويسهل مقادها .

إنه لا يكفي أن نؤمن بالله إيماناً نظرياً ، أو نتكلم عن التربية الربانية كلاماً لا يجاوز الألسن أو الآذان بل لا بد من ممارسات عملية تستخلص النفس من أدرانها وشوائبها ، وترتقي في مدارج الكمال ، والصوم أحد أبرز الرياضات النفسية ، فهو يقوي الإرادة ، ويجعل للإيمان والتقوى قوامة على الجسد ويتعاظم الشعور ، ويصفو الفكر ، وتشف النفس ، ويتوقد الذهن ، وينشط العقل ، وبعكسه فإن كثرة الطعام تذهب باليقظة ، والصحو وقوة الملاحظة ، وتخمد وقد الذكاء والفطنة ، وتصيب الرأس بالاسترخاء والثقل .

ولهذا جاء تشجيع النبي ﷺ الشباب الذين لا قدرة لهم على الزواج أن يكثروا من الصوم في قوله ﷺ كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . أخرجه البخاري في النكاح باب قول النبي من استطاع الباءة فليتزوج حديث (٥٠٦٥ ، ٥٠٦٦) وفي الصوم باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة (١٩٠٥) ومسلم في النكاح (١٤٠٠) .

فالصوم في حد ذاته يعتبر علاجاً لبعض حالات النفس وأمراض القلب ، بل هو ركن من أركان المعالجة التي تحتاج إلى شيء من الصبر والمجاهدة حتى يصل الإنسان المسلم إلى الحالة التي يرضى الله تبارك وتعالى بها .

إن الأصل الذي تقوم عليه حياة المسلم هو أن الأكل حتى الشبع وإن كان مباحاً ، فإن الشبع الدائم في حياة المسلم ليس هو الأصل ، فالتوسع في

الطعام حتى يصل الإنسان إلى السمنة مرض اجتماعي في المجتمع الاسلامي والنصوص واضحة في ذلك حيث جاء في الحديث في وصف وذم خلف طالح يأتي بعد سلف صالح ﴿**يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يأتمنون**﴾ وتظهر فيهم السمنة ، متفق عليه .

وإن خير ما يعين المسلم على تحقيق هذا الأصل ، والابتعاد عن اطلاق العنان للشهوات عند الإنسان ، هو الصوم ، فهو الرمز العملي لضبط النفس ، سواء كان الصوم فرضاً أو نفلاً ، لأن الشبع الدائم يجعل أعضاء الإنسان في كامل قوتها وطاقتها فيصعب قيادها ، ويطلق العنان للنفس من أجل تحقيق رغباتها وشهواتها ، فحبس النفس عن شهوة الطعام إضعاف بالتالي لها عن الانطلاق في أي طريق ، وترويض لها على الانضباط على الطريق الصحيح .

صوم الدهر ومذاهب العلماء فيه :

اختلف العلماء في صيام الدهر إلى قسمين :

١) من ذهب إلى كراهة صوم الدهر مطلقاً :

وقد ذهب إلى هذا الرأي اسحاق وأهل الظاهر والحنفية وهي رواية عن أحمد ، وابن العربي من المالكية وشذ ابن حزم فقال يحرم .

انظر هذا الرأي وأدلته فتح الباري (٤/٢٢٢) نيل الأوطار (٤/٣٤٣) شرح صحيح مسلم (٨/٤٠) حاشية الطحطاوي (٥٢٩) شرح الزرقاني على الموطأ (٢/١٨٠) جامع الترمذي (٣/١٣٩) وشرحه تحفة الاحوذي .

٢) وذهب الجمهور إلى عدم كراهية صيام الدهر وانقسموا إلى قولين :

(أ) منهم من ذهب إلى جواز صيام الدهر وحملوا أخبار النهي على من صامه حقيقة فإنه يدخل فيه ما حرم صومه كالعيدين/ وهذا اختيار ابن المنذر وطائفة وروي عن عائشة ونحوه .

انظر شرح الزرقاني (٢/١٨٠) نيل الأوطار (٤/٣٤٤) فتح الباري (٤/٢٢٢) .

(ب) ومنهم من ذهب إلى استحباب صيام الدهر لمن قوي عليه ولم يفوت فيه حقاً وافطر الأيام المنهي عنها وإلى ذلك ذهب الجمهور كالشافعية ومالك بن أنس وأحمد وإسحاق .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم (٤٠/٨) قال القاضي وغيره ذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها وهي العيدان والتشريق .

وقال : ومذهب الشافعي وأصحابه ان سرد الصوم إذا افطر العيدين والتشريق لا كراهة فيه بل هو مستحب بشرط أن لا يلحق به ضرر ، ولا يفوت حقاً ، فإن تضرر أو فوت حقاً فمكروه ، واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو الاسلمي ولو كان مكروهاً لم يقره لا سيما في السفر وقد ثبت أن عمر بن الخطاب كان يسرد الصيام وكذلك أبو طلحة وعائشة وخلائق من السلف قد ذكرت منهم جماعة في شرح المهذب باب صوم التطوع .

وقال الترمذي في جامعه كره قوم من أهل العلم صيام الدهر ، وأجازه قوم آخرون وقالوا إنما يكره صيام الدهر إذا لم يفطر يوم الفطر ويوم الاضحى وأيام التشريق فمن افطر هذه الأيام فقد خرج من الكراهية ولا يكون قد صام الدهر كله هكذا روي عن مالك بن أنس وهو قول الشافعي .

وقال أحمد وإسحاق نحواً من هذا وقالا : لا يجب أن يفطر أياماً غير هذه الخمسة أيام التي نهى الرسول عليه الصلاة والسلام عنها يوم الفطر ويوم الاضحى وأيام التشريق ، جامع الترمذي (١٣٩/٣) الصوم باب ما جاء في صوم الدهر حديث (٧٦٧) .

أنظر لهذا الرأي فتح الباري (٢٢٢/٤) شرح صحيح مسلم (٤٠/٨) شرح الزرقاني على الموطأ (١٨٠/٢ ، ٤٣٥) المهذب (١٨٥/١) الفروع (١١٤/٣) نيل الأوطار (٣٤٣/٤) .

وقد أجاب كل طرف عن أدلة الطرف الآخر أنظر المراجع والمصادر السابقة لزيادة التفصيل في المسألة .

فالإنسان الذي لايتضرر في نفسه من الصيام المتواصل ولا يفوت حقاً

يكـون الصوم في حقـه أرجح ، وأمـا من يتضرر في نفسـه ويفـوت حقـاً من الحقوق التي خوطب بها يكون الإفطار في حقه أرجح .

وخلاصته : الأمر الذي نذهب إليه هـو ما قـاله ابن حجـر رحمه الله في فتـح البـاري (٤/٢٢٤) : وعلى هـذا فيختلف ذلـك بـاختـلاف الأشخـاص والأحوال ، فمن يقتضي حاله الإكثار من الصوم أكثر منـه ، ومن يقتضي حالـه الإكثـار من الإفـطار أكثـر منـه ، ومن يقتضي حـالـه المـزج فعله ، حتى أن الشخص الواحد قـد تختلف عليه الأحـوال في ذلك وإلى ذلـك أشار الغـزالي أخيراً ، والله أعلم بالصواب ، أ . هـ . .

نماذج من اجتهاد السلف في عبادة الصوم :

١ ـ أمير المؤمنين الفاروق العادل الخليفة الراشد عمـر بن الخطاب رضي الله عنه : ـ

ـ جاء عن ابن عمر عن أبيه أنه ما مات عمر حتى سرد الصوم ، الـرياض النضرة (٢/٥٠) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (١٦٩) .

ـ وعن ابن عبـاس قال : مـا مات عمـر رضوان الله عليـه حتى اسود من الصوم ، مناقب (١٦٩) .

ـ وعن اسلم قـال : كـان عمـر بن الخـطاب رضـوان الله عليـه يصـوم الدهر ، مناقب (١٦٩) .

٢ ـ الخليفة الراشد والإمام الجـواد أمير المؤمنين عثمـان بن عفان رضي الله عنه .

ـ عن رهيمة قالت : كان عثمان يصوم الدهر ويقوم الليـل الا هجعة من أوله ، ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٢٧١) حلية الأولياء (١/٥٦) .

٣ ـ الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

ـ كان ابن مسعود قليل الصوم بالنسبة للصحابة الذين يكثرون من التطوع في هذه العبادة ، ولكنه كثير بالنسبة للذين يتركون الصيام في عصرنا .

ـ فقد جاء عنه : أنه كان لا يكاد يصوم وقال : إني إذا صمت ضعفت عن الصلاة ، والصلاة أحب إلي من الصيام ، فإن صام صام ثلاثة أيام من كل شهر ، قال الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

ـ وعن عبد الرحمن بن يزيد قال : ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله بن مسعود فقيل له : لم لا تصوم ! فقال : إني أختار الصلاة عن الصوم فإذا صمت ضعفت عن الصلاة ، طبقات ابن سعد (١٥٥/٣) حياة الصحابة (٥٤٢/٣) .

ـ وعن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود أنه كان يصوم الاثنين والخميس ، طبقات ابن سعد (١٥٥/٣) صفة الصفوة (٤٠٤/١) .

٤ ـ عبد الله بن عمر الصحابي الجليل رضي الله عنه .

ـ ذكره العلماء مع الصحابة الساردين للصوم منهم : عمر وابنه وأبو طلحة وطلحة بن عمرو وعائشة ، مرآة الجنان (١٥٥/١) .

وكان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر ، كما جاء عن نافع في الطبقات (١٤٨/٤) .

٥ ـ أبو طلحة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وأحد أعيان البدريين وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة .

ـ جاء عن أنس بن مالك : أن أبا طلحة صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى ، وفي لفظ الطبراني قال : إن أبا طلحة سرد الصوم بعد وفاة رسول الله ﷺ حتى مات ، الطبراني في المعجم الكبير حديث (٤٦٨٠ ، ٤٦٨١) والحاكم في المستدرك (٣٥٣/٣) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

ـ وجاء عن أنس أيضاً قال : كان أبو طلحة بعد النبي ﷺ لا يفطر إلا في سفر أو مرض ، ابن سعد (٥٠٦/٣) من طريق يزيد بن هارون عن حميد عن أنس وهذا إسناد صحيح .

٦ ـ عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق الأكبر زوجة النبي ﷺ ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق عن القاسم أنها كانت تصوم الدهر ، وتتحمل الصوم في أيام الحر الشديد مهما بلغ منها الجهد والتعب ، ابن سعد في الطبقات (٦٨/٨) ورجاله ثقات وأخرجه أيضاً (٧٥/٨) .

٧ ـ حمزة بن عمرو الأسلمي صحابة رسول الله ﷺ :

ـ جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إني رجل أسرد الصوم ، أفأصوم في السفر ؟ قال : صم إن شئت . وأفطر إن شئت ، وهذا لفظ مسلم ، أخرجه البخاري في الصوم (١٩٤٢ ، ١٩٤٣) ومسلم في الصيام باب التخيير في الصوم والفطر في السفر حديث (١١٢١) والنسائي في الصوم باب سرد الصوم (٢٠٧/٤) حديث (٢٣٨٤) وأبو داود في الصوم (٢٤٠٢) وابن ماجة في الصوم (١٦٦٢) والترمذي في الصوم (٧١١) وأحمد (٤٦/٦ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧) من طرق متعددة عنها . لم ينهه النبي ﷺ حين قال له يا رسول الله إني لأسرد الصوم ، انظر سبل السلام (١٧٢/٢) نيل الأوطار (٢٥٥/٤) إحياء علوم الدين (٢١٣/١) .

٨ ـ الصحابي الجليل أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه :

ـ روي حديثاً عن النبي ﷺ فقال : قلت يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة ، قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له ، وكان أبو أمامة لا يرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل بهم ضيف ، وهذا لفظ ابن حبان كما في الإحسان (٣٤١٦) (١٨٠/٥) وفي الموارد (٩٢٩ ـ ٩٣٠) وأخرجه أحمد (٢٤٨/٥ ، ٢٤٩) وسنده صحيح والطبراني (٧٤٦٣) وأخرجه مختصراً ابن خزيمة (١٨٩٣) والنسائي (١٩٥/٤) والحاكم (٤٢١/١) وصححه ووافقه الذهبي ومصنف عبد الرزاق (٧٨٩٩) .

ـ قال الذهبي رحمه الله : التزم أبو امامة رضي الله عنه بذلك فكان هو وامرأته وخادمه لا يلفون إلا صياماً ، سير أعلام النبلاء (٣٦٠/٣) .

٩ ـ المسور بن مخرمة بن نوفل الإمام الجليل القرشي الـزهري أبـو عبد الرحمن : ـ

ـ جاء عن أم بكر أن أباها كان يصوم الدهر وكان إذا قدم مكة طاف لكل يوم غاب عنها سبعاً وصلى ركعتين ، سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٣) .

١٠ ـ سعيد بن المسيب سيد التابعين وفقيه المدينة :

ـ جـاء عن يزيـد بن صارم : أن سعيـد بن المسيب كان يسـرد الصوم ، حلية الأولياء (١٦٣/٢) طبقـات ابن سعد (١٣٣/٥ ، ١٣٦) صفـة الصفوة (٤٤/٢) تاريخ الذهبي (٥/٤) سير اعلام النبلاء (٢٢١/٤) .

١١ ـ عروة بن الزبير الإمام عالم المدينة :

ـ جاء عن هشام بن عروة : أن أباه مات وهو صائم ، وجعلوا يقولـون له أفطر ، فلم يفطر ، سير (٤٣١/٤) .

ـ وعنه أيضاً أنه قال : كـان أبي يصوم الـدهر إلا يـوم الفطر ويـوم النحر ومـات وهو صـائم ، سيـر (٤٣٦/٤) ابن سعـد (١٨٠/٥) الـزهـد لأحمـد (٣٧١) تذكرة الحفاظ (٦٢/١) .

١٢ ـ مسروق بن الأجدع الإمام القدوة العلم الهمذاني الكوفي : ـ

حبه للصيام :

ـ عن الشعبي قال : غشي على مسروق في يوم صائف وكانت عائشة قد تبنتـه ، فسمي بنته عـائشة ، وكـان لا يعصي ابنته شيئـاً ، قـال : فنـزلت إليـه فقـالت : يا أبتـاه أفطر واشـرب . قال : مـا أردت يا بنيـة ؛ قالت : الـرفق . قال : يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنـة ، سير (٦٨/٤) .

١٣ ـ الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى :

حبه للصوم :

ـ قيـل للاحنف : إنـك كبير والصـوم يضعفـك قـال : إني أعـده لسفـر

طويل ، سير أعلام النبلاء (٤/٩١ ـ ٩٢) .

١٤ ـ الأسود بن يزيد النخعي الإمام الجليل أبو عمرو :

ـ جاء عن علقمة بن مرثد قال : كان الأسود بن يزيد يصوم حتى يخضر، ويصفر ، فلما احتضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع فقال : ما لي لا أجزع ، والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمّني الحياء منه ، معرفة القراء الكبار (١/٥٠) سير أعلام النبلاء (٤/٥٢) .

ـ وجاء عن شعبة عن الحكم : إن الاسود كان يصوم الدهر ، هذا صحيح عنه . سير (٤/٥٢) .

ـ وجاء عن حماد عن إبراهيم : كان الاسود يصوم حتى يسود لسانه من الحر ، سير (٤/٥٣) .

١٥ ـ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه الإمام بن الإمام :

ـ قال هلال بن خباب : كان عبد الرحمن بن الاسود وعقبة مولى أديم ، وسعد ابو هشام يحرمون من الكوفة ويصومون يوماً ويفطرون يوماً حتى يرجعوا ، سير (٥/١٢) .

ـ وروي عنه أنه صام حتى احرق الصوم لسانه ، سير (٥/١٢) .

١٦ ـ إمام التابعين وسيد الزهاد في وقته الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله .

ـ قال السري بن يحيى : كان الحسن يصوم البيض ، وأشهر الحرم ، والاثنين والخميس ، سير (٤/٥٧٨) الزهد لأحمد (٢٦٩) .

١٧ ـ محمد بن سيرين الإمام شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري :

ـ جاء عن حماد بن سلمة عن أيوب قال : كان ممن يصوم يوماً ويفطر يوماً ، سير (٤/٦١٥) ابن سعد (٧/٢٠٠) الزهد لاحمد (٣٠٧) .

١٨ ـ ثابت البناني الإمام الحجة القدوة أبو محمد البصري :

ـ عن شعبة قال : كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٥) شذرات الذهب (١/ ١٦١) شرح الفية العراقي (١/ ٢٨٧) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣) .

١٩ ـ الإمام الحجة شيخ الوقت عبد الرحمن بن مل البصري أبو عثمان النهدي :

ـ عن سليمان التيمي قال : إني لأحسب أن أبا عثمان كان لا يصيب دنيا كان ليله قائماً ونهاره صائماً وإن كان يصلي حتى يغشى عليه ، سير (٤/ ١٧٧) .

٢٠ ـ سليمان بن يسار الفقيه الإمام عالم المدينة وفقيهها أبو أيوب ، وأخوه عطاء بن يسار. عن أبي الزناد قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر وكان أخوه عطاء يصوم يوماً ويفطر يوماً ، سير (٤/ ٤٤٨) .

٢١ ـ أبو بكر بن عياش بن سالم الاسدي مولاهم الكوفي الحفاظ المقرىء الفقيه المحدث شيخ الإسلام وبقية الأعلام ،

ـ قال الحافظ ابن حجر في ترجمته ولد سنة ٩٥ أو ٩٦ ومات سنة ١٩٣ وكان قد صام سبعين سنة وقامها وكان لا يعلم له بالليل نوم ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٦) .

٢٢ ـ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الإمام الحجة الفقيه قاضي المدينة أبو إسحاق :

ـ ذكر إبراهيم بن سعد : أن أباه سرد الصوم قبل أن يموت بأربعين سنة ، سير (٥/ ٤١٩) .

ـ وعن شعبة قال : كان سعد يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة ، سير (٥/ ٤١٩) العبر (١/ ١٦٥) مرآة الجنان (١/ ٢٦٩) .

٢٣ ـ أبو اسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمذاني الكوفي الحافظ أحد الأعلام :

ـ قال أبو الأحوص عن أبي إسحاق : قد كبرت وضعفت ما أصوم إلا ثلاثة أيام من الشهر والاثنين والخميس وشهور الحرم ، تذكرة الحفاظ (١/١١٥) .

ـ وفي لفظ سير أعلام النبلاء : عن أبي الأحوص قال لنا : أبو إسحاق : يا معشر الشباب اغتنموا يعني قوتكم وشبابكم ، قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية ، وإني لأقرأ البقرة في ركعة ، وإني لاصوم الأشهر الحرم ، وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس ، سير أعلام النبلاء (٥/٣٩٧) .

٢٤ ـ منصور بن المعتمر الحافظ الثبت القدوة أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام :

ـ قال خلف بن تميم : حدثنا زائدة أن منصوراً صام أربعين سنة وقام ليلها وكان يبكي فتقول له أمه يا بني قتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي فإذا كان الصبح ، كحل عينيه ، ودهن رأسه ، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس ، سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٦) العبر في خبر من غبر (١/١٧٧) .

ـ وقال سفيان بن عيينه : رأيت منصور بن المعتمر فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي ، ثم قال سفيان : صام منصور ستين سنة ، يقوم ليلها ويصوم نهارها رحمه الله ، سير أعلام النبلاء (٥/٤٠٨) .

٢٥ ـ سليمان التيمي الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي مولاهم البصري :

ـ قال أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا الأنصاري قال : كان عامة الدهر سليمان التيمي يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد وكان يسبح من العصر إلى المغرب ويصوم الدهر ، تذكرة الحفاظ (١/١٥١) سير أعلام النبلاء (٦/١٩٧) شذرات الذهب (١/٢١٢) .

٢٦ ـ عبد الله بن عون الإمام شيخ أهل البصرة مولاهم البصري الحافظ :

ـ قال بكار السيريني : كان ابن عون يصوم يوماً ويفطر يوماً ، تذكرة الحفاظ (١/١٥٦) سير أعلام النبلاء (٦/٣٦٦) .

٢٧ ـ شعبة بن الحجاج بن الورد الحجة الحافظ شيخ الإسلام أمير المؤمنين في الحديث ابو بسطام الأزدي العتكي .

ـ قال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كله ، وكان الثوري يصوم في كل شهر ثلاثة أيام ، تذكرة الحفاظ (١/١٩٣) سير أعلام النبلاء (٧/٢٠٩) الحلية (٧/١٤٥) .

٢٨ ـ عراك بن مالك الغفاري المدني أحد العلماء العاملين وكان من أعوان عمر بن عبد العزيز في فترة خلافته ، كان يسرد الصوم ، سير أعلام النبلاء (٥/٦٤) .

٢٩ ـ وكيع بن الجراح بن مليح الإمام الحافظ الثبت أبو سفيان الرؤاسي الكوفي محدث العراق أحد الأئمة الأعلام :

ـ عن يحيى بن أكثم : صحبت وكيعاً في السفر والحضر فكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة .

ـ وقال يحيى بن معين : ما رأيت أفضل منه يقوم الليل ويسرد الصوم ويفتي بقول أبي حنيفة ، تذكرة الحفاظ (١/٣٠٧) المنهج الأحمد (١/٥٩) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٢ ـ ١٤٩) .

ـ وقال ابن عمر : كان وكيع يصوم الدهر ، ويفطر يوم الشك والعيد وأخبرت أنه كان يشتكي إذا أفطر هذه الأيام ، سير (٩/١٤٩) .

٣٠ ـ مصعب بن ثابت بن الخليفة عبد الله بن الزبير القدوة الإمام أبو عبد الله الأسدي الزبيري المدني :

ـ قال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح : كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر ويصلي في اليوم والليلة ألف ركعة يبس من العبادة وكان من أبلغ أهل زمانه .

ـ وقال يحيى بن مسكين : ما رأيت أحداً قط أكثر صلاة من مصعب كان

يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر وقيل فيه : إنه صام من عمره خمسين سنة ، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٩) .

٣١ ـ عتبة الغلام الزاهد الخاشع الخائف ابن أبان البصري .

ـ قال سلمة الفراء : كان عتبة الغلام من نساك أهل البصرة ، يصوم الدهر ، ويأوي إلى السواحل والجبانة ، سير (٧/ ٦٢) .

٣٢ ـ ابن أبي ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث الإمام شيخ الإسلام أبو الحارث القرشي العامري المدني الفقيه :

ـ قال الواقدي تلميذه : أخبرني أخوه قال : كان أخي يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ثم سرد الصوم ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٤١ ، ١٤٨) .

٣٣ ـ عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته أبو عبد الرحمن الحنظلي التركي الحافظ الغازي أحد الأعلام :

ـ جاء عن الفضل بن محمد الشعراني : حدثنا عبده بن سليمان قال : سمعت رجلاً يسأل ابن المبارك عن الرجل يصوم يوماً ويفطر يوماً . قال : هذا رجل يضيع نصف عمره ، وهو لا يدري ، يعني لم لا يصومها ، سير (٨/ ٤٠٦) .

٣٤ ـ مسلم بن خالد الإمام الفقيه شيخ الحرم أبو خالد المخزومي المكي المشهور بالزنجي .

ـ قال الأزرقي : كان فقيهاً عابداً يصوم الدهر ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٥) .

٣٥ ـ غندر الحافظ المتقن المجود أبو عبد الله محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري .

ـ قال يحيى بن معين : أخرج إلينا غندر ذات يوم جراباً فقال : اجهدوا أن تخرجوا فيه خطأ ، قال : فما وجدنا فيه شيئاً ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً

منذ خمسين سنة ، تذكرة الحفاظ (١/٣٠١) سير (٩/٩٩) .

ـ وقال يحيى بن معين : والتفت غندر يوماً إلي فقال : أعلم إني منذ خمسين سنة أصوم يوماً وأفطر يوماً ، سير (٩/١٠١) .

٣٦ ـ بشر بن المفضل بن لاحق الإمام الفقيه الثقة أبو إسماعيل الرقاشي مولاهم البصري الحافظ العابد : ـ

ـ قال علي بن المديني : كان يصلي كل يوم أربع مائة ركعة ويصوم يوماً ويفطر يوماً ، تذكرة الحفاظ (١/٣١٠) سير أعلام النبلاء (٩/٣٦) .

٣٧ ـ الإمام أحمد بن حنبل الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام .

ـ عن عبد الله بن أحمد قال : كان أبي يصوم ويدمن ، ثم يفطر ما شاء الله ، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض ، فلما رجع من العسكر ، أدمن الصوم إلى أن مات ، سير (١١/٢٢٣) .

٣٨ ـ أبو أحمد الزبيري محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الحافظ الكبير الثبت الكبير المجود الأسدي الزبيري قيل كان يصوم الدهر :

ـ روى أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن يزيد قال : كان محمد بن عبد الله الأسدي يصوم الدهر فكان إذا تسحر برغيف لم يصدع ، فإذا تسحر بنصف رغيف صدع من نصف النهار إلى آخره فإن لم يتسحر صدع يومه أجمع ، تذكرة الحفاظ (١/٣٥٧) سير (٩/٥٣١) .

٣٩ ـ الإمام الثبت داود بن أبي هند أبو محمد البصري :

ـ قال ابن عدي : صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ، وكان خزازاً كان يحمل معه غداءه من عندهم فيتصدق به في الطريق ويرجع عشياً ويفطر معهم ، تذكرة الحفاظ (١/١٤٧) شذرات الذهب (١/٢٠٨) .

٤٠ ـ محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر العلوي الحسيني أبو

جعفر سيد بني هاشم في زمانه : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، سير (١٠/١٠٥) .

٤١ ـ عبد الله بن نافع الزبيري حفيد ثابت بن عبد الله بن الزبير أحد الأئمة الأعلام .

ـ قال ابن عمه الزبير (يعني بن بكار) : كان المنظور إليه من قريش بالمعرفة في هديه وفقهه وعفافه وكان يسرد الصوم ، سير (١٠/٣٧٥) جمهرة أنساب قريش (ص ٩٦) .

٤٢ ـ العلامة الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني الأخباري : كان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب مصدقاً فيما ينقله عالي الإسناد :

ـ قال الحارث بن أبي أسامة : سرد المدائني الصوم قبل موته بثلاثين سنة وقارب المئة ، وقيل له في مرضه : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أعيش ، سير (١٠/٤٠١) معجم الأدباء (١٤/١٢٥) .

٤٣ ـ علي بن الجعد بن عبيد الإمام الحافظ الحجة مسند بغداد أبو الحسن البغدادي الجوهري : يقال مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، سير أعلام النبلاء (١٠/٤٦٦) تاريخ بغداد (١١/٣٦٦) .

٤٤ ـ خلف بن هشام بن تغلب الإمام الحافظ الحجة شيخ الإسلام أبو محمد البغدادي البزار المقرىء .

ـ روي عن خلف أنه كان يسرد الصوم ، سير (١٠/٥٧٩) .

٤٥ ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي المكي الفقيه صاحب التصانيف أحد الأعلام :

ـ قال أبو عاصم : كان ابن جريج من العباد يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر ، تذكرة الحفاظ (١/١٧٠) .

٤٦ ـ الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، البخاري في الصوم باب صيام الدهر (١٩٧٧) .

٤٧ ـ الإمام النووي :

ـ قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣ / ٢٧٩) كان يصوم الدهر .

٤٨ ـ الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان الفقيه الجليل أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري :

ـ قال الذهبي : سرد الصوم ثلاثين سنة ، تذكرة الحفاظ (٣/١١٣٣) مرقاة المفاتيح (١ /٢١) دلائل النبوة (١ /١١٧) .

الفصل الثالث

قراءة القرآن

القرآن وآثاره التربوية على النفس

القرآن هو الروح الذي يؤنس المؤمن في رحلته الشاقة في هذه الأرض ، والنور الذي يضيء جوانب روحه والمعلم الذي يلقنه والهادي الذي يبين له معالم الطريق .

والحياة مع القرآن تثير في النفس عالماً من المشاعر لا يعرفها ولا يتذوقها إلا من يصاحب القرآن بحس متطلع وقلب متفتح ، عالم تسبح الروح في جنباته ، ويجول الفكر في جولاته ، وتعب النفس من فيضه بقدر ما ترتوي أو بقدر ما تطيق .

والحياة مع القرآن هي الحياة مع الله . فالقرآن كتاب الله المنزل وكلامه الموجه إلى الإنسان . . إلى نفسه وقلبه وفكره وروحه . وهو كذلك حديث متصل عن الله عز وجل ، يصفه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، يصفه بقدرته المعجزة ، يصفه برحمته الواسعة يصفه بعلمه الشامل ، يصفه بكبريائه وجبروته ، يصفه بكل ما تستطيع النفس البشرية أن تدركه من الصفات .

فحين يعيش الإنسان مع القرآن فهو يعيش مع الله ، سواء حين يحس برحمة الله الواسعة وفضله الغامر الذي يتناوله بالرعاية فيرسل إليه رسوله الكريمﷺ ، ويقرئه كتابه المنزل يهدي به نفس الإنسان أو حين يتتبع الحديث

المتصل في القرآن عن الله سبحانه وتعالى من أول سورة إلى آخـر سورة ، من الفاتحة الى المعوذتين ، فهو يعيش مع الله في كل لحظة يعيشها مع القرآن .

من أجـل ذلك يـوصي الرسـول ﷺ المؤمنين بمداومـة التلاوة والـذكر ، ويحـذر من الجفـوة والقـطيعـة بين المسلم وكتـاب الله ، لكي لا تنقـطع تلك الصلة الحية ، ولا ينقطع الرباط الذي يربط القلب المؤمن بالله ، لكيلا يـرين الران على القلوب .

فالنفس البشرية يغشاها ما يغشاها من جـراء تعرضهـا الدائم (للتـراب) المتناثر في جو الحياة ، سواء هو تراب الجسد أو تراب المادة وما يدور حـولها من صـراع ! وهو تـراب يتـراكم ويتـراكم إن لم يمسحـه الإنسـان عـن نفسـه وروحه ، حتى يتغبش صفاء النفس وتعتم شفـافية الـروح وتنطمس في النهـاية فلا ينفذ منها النور .

والقـرآن يمسح عن النفس ذلـك الـران ، حين يعيش الإنسـان فيـه مـع الله ، فتنطلق الروح من إسـارها تقبس من النـور العلوي ، ويتسرب الحـديث المتصل عن الله في أعماق النفس فيشيع فيها النور .

يقول الله تعالى : ﴿**الله نور السموات والأرض مثـل نوره كمشكـاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجـة كأنهـا كوكب دري يوقد من شجـرة مباركة زيتونة لا شـرقية ولا غـربية يكـاد زيتها يضيء ولـو لم تمسسه نـار نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم**﴾ النور آية (٣٥) .

لا غنى للمسلم إذن عن مصـاحبة القـرآن وتلاوتـه ، والتـلاوة في ذاتهـا عبادة ، والقرآن هو الكتاب المتعبد بتلاوته ، الذي يكتب الله لقارئه أجره على كل حرف منه يتلوه .

ولقـد أمرنـا الله تبارك وتعـالى بتدبـر القرآن بقـولـه : ﴿**أفـلا يتـدبـرون القرآن**﴾ وعاب على من لا يتدبر آياته بأن قلبه مقفـل ، وقفل قلبـه يحول بينـه وبين تـدبر الآيـات يقول الله تعـالى : ﴿**أفـلا يتـدبـرون القـرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ سورة محمد .

والتدبر ليس هو الغاية المطلوبة من التلاوة وإنما هو وسيلة لأمر عظيم يراد يقول تعالى : ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء**﴾ الزمر آية (١٧ - ٢٣) .

وذلك الأمر العظيم المراد : هو أن يتحول الاستماع إلى القرآن وتلاوته والتأثر الخاشع به إلى هدى إلى سلوك ملتزم بما أنزل الله في الكتاب .

بعبارة أخرى : يتحول إلى منهج حياة .

- والقرآن وتلاوته تثبت العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين الذين يتلونه ، والتي ينبغي أن يهتم بها المسلم في وقتنا ليستقيم له إسلامه بصفته فرداً من أمة الإسلام .

- والقرآن كتاب التربية والتوجيه للأمة الإسلامية أفراداً وجماعة هو منهج التربية التي تربى عليها الرسول ﷺ وربى أمته عليه من بعده فينبغي لنا أن نقرأ القرآن على أساس أنه منهج تربيتنا ، فديننا وكتابنا ليس شعارات ترفع وإنما هو واقع يعاش وهذا أعظم توجيه تربوي في القرآن الكريم .

- والقرآن يوضح لنا السنن الربانية التي يدبر الله بها حياة البشر على الأرض ، ويوضح لنا أن هناك قوانين تحكم هذا الكون لانه لم يخلق اعتباطاً بلا ضابط ولا دليل ، وتدبر السنن الربانية التي تجري بها حياة البشر على الأرض أمر ضروري وحيوي للمسلم في أثناء قراءته لكتاب الله عز وجل .

- والمسلم أثناء قراءته لكتاب الله عز وجل يجد فيه منهج الدعوة لهذا الدين ، فالقرآن يربي أتباع هذا الدين بالعقيدة حتى تتحول إلى سلوك واقعي في حياة الناس ، وفي سلوك الدعاة أنفسهم قبل كل الناس ، وهذا هو المنهج الذي يخدم الدعوة ويعينها على أن تجتاز ازمتها وتصل إلى غايتها وغايتها البديهية هي إنشاء مجتمع مسلم تحكمه شريعة الله .

فالمقصد الرئيسي من تلاوة كتاب الله تعالى هو ثمرة التلاوة السلوك

الملتزم أو منهج الحياة الذي يحكم كل تصرفات الأفراد وهذا ما استطاع تحقيقه سلفنا الصالح من تلاوتهم لكتاب الله فقد كانت أعمالهم كالجبال وكان سلوكهم وتصرفاتهم في واقع الحياة يحول كل واحد منهم إلى قرآن متحرك يدب على الأرض يكون خلقه القرآن الذي يحكم تصرفاته ومسلكياته .

قراءة القرآن الكريم في أقل من ثلاث ليال وحكم ذلك :

اختلف العلماء في هذا الأمر على ثلاثة أقوال :

١) ذهب أحمد في رواية عنه وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه وغيرهم إلى أنه لا يختم القرآن في أقل من ثلاث .

انظر فتح الباري (٩٧/٩) .

٢) وأغرب بعض الظاهرية فقال : يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث .
انظر فتح الباري (٥٧/٩) .

٣) وأكثر العلماء ذهب إلى أنه لا تقدير في ذلك وإنما هو بحسب النشاط والقوة والترتيل أفضل من العجلة وفي ذلك أيضاً رواية عن أحمد وعن جماعة من السلف .
ذكر ذلك صاحب طرح التثريب (١٠٤/٣) وفتح الباري (٩٧/٩) واختاره النووي رحمه الله .

والمتتبع لتراجم أئمة الحديث يجد أن الكثير منهم كانوا يقرأون القرآن في أقل من ثلاث فالظاهر أنهم لم يحملوا النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على التحريم وكأنهم ذهبوا إلى الرأي الثالث .

قال الإمام النووي ما نصه : ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة وآخرون في كل شهر ختمة ، وآخرون في كل عشر ليال ختمة ، وآخرون في كل ثماني ليال ختمة ، وآخرون في كل سبع ليالٍ ختمة ، وهذا فعل الاكثرين من السلف ، وآخرون في كل ست ليالٍ ، وآخرون في خمس وآخرون في اربع ، وكثيرون

في كل ثلاث ، وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة ، وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين ، وآخرون في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وختم بعضهم في اليوم والليلة ثماني ختمات ، أربعاً في الليل ، وأربعاً في النهار وممن ختم أربعاً في الليل وأربعاً في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي رضي الله عنه ، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة ، وروى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم ، فمنهم عثمان بن عفان ، وتميم الداري ، وسعيد بن جبير .

والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة في القراءة وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة .

التبيان في آداب حملة القرآن (١١ ـ ١٢) شرح صحيح مسلم (٨/٤٢) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقي (١/٢٢٧ ـ ٢٣٤) فتح الباري (٩/٩٧) .

وقال في المغني (١/٨٠٤ ـ ٨٠٥) ما نصه :

يستحب أن يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ليكون له ختمة في كل أسبوع قال عبد الله بن أحمد : كان أبي يختم القرآن في النهار في كل سبعة يقرأ في كل يوم سبعاً لا يتركه نظراً ، وقال حنبل : كان أبو عبد الله يختم من الجمعة إلى الجمعة ، وذلك لما روي أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو : إقرأ القرآن في سبع ولا تزيدن على ذلك . رواه أبو داود ، وعن أوس بن حذيفة قال : قلنا لرسول الله ﷺ لقد أبطأت عنا الليلة قال : إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أُتمه. قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ

كيف تحزبون القرآن قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشر وثلاث عشر وحزب المفصل وحده ، رواه أبو داود .

ويكره أن يؤخر ختمة القرآن أكثر من أربعين يوماً لأن النبي ﷺ سأله عبد الله بن عمرو في كم تختم القرآن ، قال : في أربعين يوماً ، ثم قال في شهر ، ثم قال : في عشرين ، ثم قال في خمس عشرة ثم قال في عشر ، ثم قال في سبع ، لم ينزل من سبع ، أخرجه أبو داود ، وقال أحمد : أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين ، ولأن تأخيره أكثر من ذلك يفضي إلى نسيان القرآن والتهاون به فكان ما ذكرنا أولى وهذا إذا لم يكن له عذر فأما مع العذر فواسع له .

وإن قرأه في ثلاث فحسن لما روي عن عبد الله بن عمرو قال : قلت لرسول الله ﷺ أن بي قوة قال : اقرأه في ثلاث. رواه أبو داود ، فإن قرأه في أقل من ثلاث فقد روي عن أبي عبد الله أنه قال : أكره أن يقرأ في أقل من ثلاث . وذلك لما روى عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث. رواه أبو داود ، وكذا غيره من أصحاب السنن وصححه الترمذي : وروي عن أحمد أن ذلك غير مقدر وهو على حسب ما يجد من النشاط والقوة لأن عثمان كان يختمه في ليلة ، وروي ذلك عن جماعة من السلف ، والترتيل أفضل من قراءة الكثير مع العجلة لأن الله تعالى قال : **﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾** .

وعن عائشة أنها قالت : ولا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة رواه مسلم . وعنها قالت : كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث . رواه أبو عبيد في فضائل القرآن وقال ابن مسعود من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهذه كهذ الشعر ونثره كنثر الدقل .

خلاصة الأمر :

والرأي الذي نذهب إليه ما قاله النووي رحمه الله تعالى : والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر ، استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يخل بالمقصود من التدبر وإخراج

المعاني ، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه ، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرأه هذرمة ، فتح الباري ، التبيان ، تحفة الاحوذي (٨/ ٢٧١) حديث (٤٠١٦) .

نماذج من اجتهاد السلف في قراءة القرآن :

١ ـ الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ـ عن محمد بن سيرين عن امرأة عثمان : أنه كان يحيي الليل كله فيقرأ القرآن في ركعة . تحفة الاحوذي (٨/ ٢٧٢) بعد حديث رقم (٤٠١٦) ، محمد بن نصر المروزي مختصر قيام الليل (ص ١٠٩) البيهقي (٢/ ٣٩٦) (٣/ ٢٥) وسنده صحيح والطحاوي وابن أبي داود وحلية الأولياء (١/ ٥٦) وشرح الأذكار .

ـ وقد جاء عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال : قال لي أبي : لأغلبن الليلة على المقام، قال : فلما صليت العتمة تملصت إلى المقام حتى قمت فيه ، فبينا أنا قائم إذا برجل وضع يده بين كتفي ، فإذا هو عثمان بن عفان ، فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا ، حلية الأولياء (١/ ٥٦) .

ـ وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن عثمان أنه ختم في سبع بسند صحيح ، شرح الأذكار (١/ ٢٢٩) .

٢ ـ الصحابي الجليل والإمام الرباني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : .

ـ قال أبو بكر البيهقي : وروينا عن ابن مسعود : أنه كان يختم القرآن في رمضان في ثلاث وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة ، مسند البيهقي (٢/ ٣٩٦) .

ـ وقال النووي : أما الذين ختموه فيالأسبوع مرة فكثير،نقل عن عثمان

وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعن جماعة من التابعين ، شرح الأذكار (١/ ٢٢٩) .

ـ وأخرج ذلك ان ابن مسعود ختمه في سبع ابن أبي داود في المصاحف بسند صحيح ، شرح الأذكار (١/ ٢٤٩) .

٣ ـ الصحابي الجليل قارىء القرآن أبي بن كعب رضي الله عنه :

ـ قال أبو بكر البيهقي : روينا عن أبي بن كعب أنه كان يختم القرآن كل ثمان ، مسند البيهقي (٢/ ٣٩٦) معرفة القراء الكبار (١/ ٣٠) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٩٨) ابن سعد (٣/ ٢/ ٦٠) .

ـ وعن أبي بن كعب قال : إني لأقرأ القرآن في كل ثمان ، شرح الأذكار (١/ ٢٢٨) .

ـ وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن أبي قلابة ان أبي بن كعب كان يختم القرآن في كل ثمان ، شرح الأذكار (١/ ٢٢٨) ، وذكره النووي رحمه الله فيمن كان يختم القرآن في سبع أيضاً ، شرح الأذكار (١/ ٢٢٩) .

٤ ـ زيد بن ثابت الأنصاري صحابي رسول الله وجامع القرآن رضي الله عنه :

ـ ذكره الإمام النووي فيمن كان يختم القرآن في سبع ، شرح الأذكار ، (١/ ٢٢٩) .

٥ ـ الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه :

ـ وعن تميم أنه كان يختم القرآن في كل سبع ، سنن البيهقي (٢/ ٣٩٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٥) ابن سعد (٣/ ٥٠٠) بإسناد صحيح .

ـ وروى عاصم الأحول عن ابن سيرين : أن تميماً الداري كان يقرأ القرآن في ركعة ، الطحاوي (١/ ٢٠٥) سير (٢/ ٤٤٥) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٥٩) ، شرح السنة (٤/ ٤٩٩) ابن أبي داود في المصاحف بسنده الصحيح كما في شرح الأذكار (١/ ٢٢٩) والبيهقي كما في شرح الأذكار

(١/٢٢٨) تحفة الأحوذي (٨/٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

٦ ـ الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي رضي الله عنه :

ـ كان يقرأ القرآن في ثلاث كما سمح له الرسول عليه الصلاة والسلام ، أخرجه أبو داود في سننه وعند مسلم « أنه سمح له أن يقرأ القرآن في سبع » .

٧ ـ الصحابي الجليل الزاهد العابد الحكيم أبو الدرداء رضي الله عنه ، كان يختم القرآن في أربع :

ـ من طريق بلال بن يحيى عن أبي الدرداء قال : لقد كنت اقرأ بهم ربع القرآن في كل ليلة ، فإذا أصبحت قال بعضهم لقد خففت بنا الليلة .

ـ ومن طريق مغيث بن سمي قال : كان أبو الدرداء يقرأ القرآن في كل أربع ، ابن أبي داود في المصاحف كما جاء في شرح الأذكار للنووي (١/٢٣٠) .

٨ ـ الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه : ـ كان يقرأ القرآن في ليلة ، انظر مختصر قيام الليل للمروزي (ص ١٠٩) والطحاوي كما أشار إليه صاحب تحفة الأحوذي (٨/٢٧٣) .

٩ ـ سليم بن عتر الإمام الفقيه قاضي مصر وواعظها رحمه الله تعالى :

ـ عن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات ، ولاة مصر وقضاتها (٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨) سير أعلام النبلاء (٤/١٣٢) البداية والنهاية (٩/١١٨) .

١٠ ـ عبد الله بن محيريز الإمام الفقيه القدوة الرباني أبو محيريز القرشي الجمحي المكي :

ـ ختم القرآن كل أسبوع :

ـ قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز : كان جدي يختم في كل جمعة وربما فرشنا له فلم ينم عليه ، سير (٤/٤٩٥) .

١١ ـ سعيد بن المسيب إمام التابعين فقيه المدينة رحمه الله :

ـ قال عاصم بن العباس : سمعت ابن المسيب يقرأ القرآن بالليل على راحته فيكثر ، طبقات ابن سعد (١٣٣/٥) الترمذي كما في التحفة (٢٧٢/٨) حديث (٤٠١٦) .

١٢ ـ علقمة بن قيس الإمام الفقيه المقرىء المجود رحمه الله :

ـ قال إبراهيم النخعي : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس ، وقام فيه ليلة عند البيت ، سير (٥٧/٤) ، معرفة القراء (٥٢/١) ، مختصر قيام الليل (ص ١٠٩) .

ـ وقال : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس ، والأسود في ست ، وعبد الرحمن بن يزيد في سبع ، سير (٥٩/٤) ابن أبي داود في المصاحف كما في شرح الأذكار (٢٣٠/١) .

١٣ ـ الأسود بن يزيد النخعي الإمام الفقيه القدوة الرباني :

ـ عن إبراهيم النخعي : قال : كان الأسود يختم القرآن في رمضان كل ليلتين وكان ينام بين المغرب والعشاء وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليالٍ ، سير (٥١/٤) معرفة القراء(٥٠/١) مختصر قيام الليل (ص ١٠٩) .

ـ وقال : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس ، والأسود في ست ، وعبد الرحمن بن يزيد في سبع ، سير (٥٩/٤) ابن أبي داود في المصاحف كما في شرح الأذكار (٢٣٠/١) .

١٤ ـ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي الإمام بن الإمام :

ـ عن إبراهيم النخعي قال : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس وكان الأسود يختم القرآن في ست وعبد الرحمن بن يزيد في سبع ، سير (٥٩/٤) ابن أبي داود في المصاحف كما في شرح الأذكار (٢٣٠/١) .

ـ وعن الحكم : أن عبد الرحمن بن الأسود لما احتضر بكى فقيل له ؟ فقال : أسفاً على الصلاة والصوم ولم يزل يتلو حتى مات ، سير (١٢/٥) .

١٥ ـ عروة بن الزبير بن العوام رحمه الله تعالى :

ـ قال ابن شوذب : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به في الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله وقع فيها الأكلة فنشرها ، تذكرة (٦٢/١) سير (٤٢٦/٤) الحلية (١٧٨/٢ ـ ١٨٠) العبر (١١٠/١) .

١٦ ـ أبو رجاء العطاردي رحمه الله تعالى :

ـ قال أبو الأشهب : كان أبو رجاء يختم بنا في رمضان في كل عشر أيام ، تذكرة الحفاظ (٦٦/١) سير (٢٥٧/٤) ابن أبي داود في المصاحف بسند صحيح شرح الأذكار (٢٢٨/١) .

ـ وقال ابن الأعرابي : كان شجاعاً عابداً كثيره الصلاة والتلاوة للقرآن كان يقول : ما آسى على شيء من الدنيا إلا أن أعفر في التراب وجهي كل يوم خمس مرات ، تذكرة الحفاظ (٦٦/١) سير (٢٥٥/٤) الحلية (٣٠٦/٢) .

١٧ ـ سعيد بن جبير إمام التابعين في زمانه :

ـ قال عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد أنه كان يختم في كل ليلتين ، تذكرة الحفاظ (٧٦/١) معرفة القراء (٦٩/١) سير (٣٢٥/٤) ابن سعد في الطبقات (٢٥٩/٦) الزهد لأحمد (٣٧٠) الحلية (٢٧٣/٤) .

ـ وقد جاء عن هلال بن يسار قال : قرأ القرآن في ركعة في الكعبة ، شرح السنة (٤٩٩/٤) الترمذي القراءات باب ١٣ حديث (٩٤٦) مختصر قيام الليل ص (١١٠) الطحاوي كما في تحفة الاحوذي (٢٧٣/٨) وابن أبي داود في المصاحف كما في شرح الأذكار (٢٣٤/١) ، مرآة الجنان لليافعي (١٩٧/١) .

ـ وقال وقاء بن أبي أياس : قال لي سعيد بن جبير أمسك علي المصحف فما قام من مجلسه حتى ختم القرآن ، مرآة الجنان لليافعي (١٩٧/١) .

١٨ ـ الحسن بن أبي الحسن البصري إمام التابعين وسيد الزهاد في وقته .

ـ أخرج ابن أبي داود بسندين عن الحسن البصري أنه كان يقرأ القرآن في كل عشر ليال مرة ، شرح الأذكار النووية (١/ ٢٢٨) .

١٩ ـ واصل بن عبد الرحمن أبو حرة البصري أخو سعيد .

ـ قال أبو داود جاء رجل إلى شعبة يسأله عن حديث فقال : تسألني وقد مات سيد الناس يعني أبا حرة وكان يختم في ليلتين ، تهذيب التهذيب (١١/ ١٠٥) وقال أبو داود الطيالسي : كان يختم القرآن في كل ليلة ، العبر (١/ ٢١٨) .

ـ وجاء عنه أنه كان يختم القرآن كل يوم وليلة ، الترمذي كما في تحفة الاحوذي (٨/ ٢٧٢) .

٢٠ ـ قتادة بن دعامة السدوسي حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب البصري الضرير الأكمه . قال سلام بن أبي مطيع : كان قتادة يختم القرآن في سبع ، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٦) حلية (٢/ ٣٣٨) .

٢١ ـ ثابت البناني الفقيه الإمام القدوة صاحب أنس بن مالك :

ـ عن شعبة قال : كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٥) ، شذرات الذهب (١/ ١٦١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٤) مختصر قيام الليل المروزي ص (١١٠) حلية الأولياء (٢/ ٢١٩) ميزان الإعتدال (١/ ٣٦٢) ترجمة (١٣٥٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣) .

٢٢ ـ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري :

ـ قال حجاج الأعور : كان شعبة إذا ذكر سعد بن إبراهيم قال : حدثني حبيبي سعد بن إبراهيم يصوم الدهر ويختم القرآن في كل يوم وليلة ، سير (٥/ ٤١٩) العبر (١/ ١٦٥) مرآة الجنان (١/ ٢٦٩) .

ـ وعن إبراهيم بن سعد : كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن ، حلية الأولياء (٣/ ١٧٠) .

٢٣ ـ عبد الله بن عون الإمام شيخ أهل البصرة مولاهم البصري الحافظ :

ـ قال بكار السيريني : كان ابن عون يصوم يوماً ويفطر يوماً وصحبته دهراً وكان طيب الريح لين الكسوة ، يختم كل أسبوع ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٦ ، ١٥٧) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٠) .

٢٤ ـ أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمذاني الكوفي الحافظ أحد الأعلام :

ـ عن ابن فضيل عن أبيه قال : كان أبو إسحاق يقرأ القرآن في كل ثلاث ، سير (٥/ ٣٩٤) .

ـ وقال يونس : كان أبي يقرأ كل ليلة ألف آية .

ـ وقال أبو الأحوص : قال لنا أبو إسحاق : يا معشر الشباب اغتنموا يعني قوتكم وشبابكم قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية وإني لأقرأ البقرة في ركعة وإني لأصوم الأشهر الحرم وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين والخميس ، سير (٥/ ٣٩٧) .

٢٥ ـ المسيب بن رافع الأسدي الكاهلي أبو العلاء الكوفي :

ـ كان يختم القرآن في كل ثلاث ثم يصبح اليوم الذي يختم فيه القرآن وهو صائم ، وكذلك كان طلحة بن مصرف ، وحبيب بن أبي ثابت ، مختصر قيام الليل ص (١١٠) .

٢٦ ـ طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب اليامي الكوفي : ـ كان يختم كل ثلاث ، مختصر قيام الليل ص (١١٠) .

٢٧ ـ حبيب بن أبي ثابت مولاهم أبو يحيى الكوفي ثقة فقيه جليل : ـ كان يختم القرآن في كل ثلاث ، مختصر قيام الليل ص (١١٠) .

٢٨ ـ الحسن بن صالح بن حي الثوري الهمذاني :

ـ قال وكيع : كان الحسن وعلي ابنا صالح وأمهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في بيتهم كل ليلة ، فكان لكل واحد يقوم بثلثه فماتت أمهما فكانا يختمانه ، ثم مات علي فكان الحسن يختم كل ليلة ، تهذيب (٢/ ٢٨٨) ، سير (٧/ ٣٦٩) ، حلية الأولياء (٧/ ٣٢٨) ، وله رواية أخرى عنده ، تذكرة الحفاظ (١/ ٢١٦) .

٢٩ ـ أحمد بن محمد بن حسنويه الحسنوي العابد النيسابوري : ـ كان يختم القرآن كل ليلة ، اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٣٠٠) .

٣٠ ـ فقيه الملة النعمان بن ثابت أبو حنيفة رحمه الله :

ـ قال الذهبي رحمه الله : وقد روي من وجهين أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة ، سير (٦/ ٣٩٩) .

ـ فقد جاء عن أبي يوسف القاضي قال : كان أبو حنيفة يختم القرآن كل ليلة في ركعة ، سير (٦/ ٤٠٠) .

ـ وقال مسعر بن كدام : رأيت أبا حنيفة قرأ القرآن في ركعة ، سير (٦/ ٤٠١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢١) .

ـ وعن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر ، قال : فما رأيته صلى الغداة إلا بوضوء عشاء الآخرة ، وكان يختم كل ليلة عند السحر ، سير (٦/ ٤٠٠) .

ـ روى الموفق المكي بسنده إلى حفص بن عبد الرحمن قال : كان أبو حنيفة يحفظ القرآن ، فيختمه في الشهر ثلاثين مرة ، وروى بسنده إليه أيضاً قال : كنت شريك أبي حنيفة ثلاثين سنة ، فكان يختم القرآن في ثلاثة أيام ولياليها وكان يتصدق كل يوم بصدقة .

وقد جمع الموفق بين القولين بقوله : إن ختم القرآن في اليوم الواحد كان أولاً ، ثم حين اشتغل بالأصول واستنباط المسائل واجتمع عنده الأصحاب أخذ يختمه في ثلاث ، أبو حنيفة إمام الأئمة الفقهاء (ص ٧٣) .

ـ وعن اسد بن عمرو قال : صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة وكان يسمع بكاؤه حتى يرحمه جيرانه ، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الوضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة ، تهذيب الاسماء واللغات (٢/ ٢٢٠) .

ـ وعن زافر بن سليمان قال : كان أبو حنيفة يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن ، تهذيب الاسماء واللغات (٢/ ٢٢٠) .

ـ وعن ابن المبارك : أربعة من الائمة ختموا القرآن في ركعتين : عثمان بن عفان ، وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة ، مناقب الإمام أبي حنيفة للكردري (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢) .

٣١ ـ فقيه الملة وناصر السنة محمد بن إدريس الشافعي الإمام رحمه الله تعالى :

ـ قال الربيع : كان الشافعي يختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة ، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة ، صفة الصفوة (٢/ ١٤٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٦) مناقب الشافعي (ص ١٠١) حلية الأولياء (٩/ ٣٤) المنهج الأحمد (١/ ٦٤) آداب الشافعي (١٠١) .

ـ وقال الحميدي : كان الشافعي يختم القرآن كل يوم ختمة ، تهذيب الاسماء واللغات (١/ ٥٤٠) .

٣٢ ـ محمد بن إسماعيل البخاري أمير المؤمنين في الحديث جبل الحفظ .

ـ عن مسبح بن سعيد قال : كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة ، سير (١٢/ ٤٣٩) تاريخ بغداد (٢/ ١٢) طبقات السبكي (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) مقدمة الفتح (٤٨٢) .

٣٣ ـ الإمام أحمد بن حنبل شيخ الإسلام حقاً والإمام صدقاً الثابت عند المحن :

ـ قال عبد الله بن أحمد : كان أبي يقرأ في كل يوم سبعاً يختم في كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة في كل سبع ليال ، سوى صلاة النهار ، المغني (١/ ٨٠٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) .

ـ قال جعفر بن أبي هاشم : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ختمت القرآن في يوم فعددت موضع الصبر فإذا هو نيف وتسعون ، مناقب الإمام أحمد صفحة (٢٨٧) .

ـ وعن هلال بن العلاء قال : خرج الشافعي ، ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة ، نزلوا في موضع فأما الشافعي فإنه استلقى ، ويحيى بن معين أيضاً استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلي ، فلما أصبحوا قال الشافعي لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة ، وقيل ليحيى بن معين ، أي شيء عملت ؟ قال : نفيت عن النبي ﷺ مائتي كذاب ، وقيل لأحمد بن حنبل : فأنت ؟ قال : صليت ركعات ختمت فيها القرآن ، مناقب أحمد صفحة (٢٨٦) .

٣٤ ـ عبد الرحمن بن مهدي الإمام الجليل الحافظ الناقد :

ـ قال علي بن المديني : كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن ، سير (٩/ ٢٠٣) .

٣٥ ـ سفيان بن سعيد الثوري الفقيه الحافظ أمير المؤمنين في الحديث :

ـ قال عبد الرزاق : كان الثوري جعل على نفسه لكل ليلة جزءاً من القرآن ـ وجزءاً من الحديث ، قال : فيقرأ جزأه من القرآن ثم يجلس على الفراش فيقرأ جزأه من الحديث ثم ينام ، مقدمة الجرح والتعديل (١/ ١١٦) .

ـ وجاء عن الوليد بن عقبة : أن سفيان الثوري كان يديم النظر في المصحف فيوم لا ينظر فيه يأخذه فيضعه على صدره ، حلية الأولياء (٧/ ١٩) .

ـ قال أبو خالد : صحبت سفيان في طريق مكة فكان يقرأ في المصحف كل يوم فإذا لم يقرأ فيه فتحه فنظر فيه وأطبقه ، مقدمة الجرح والتعديل (١/ ٨٦) .

٣٦ ـ عبد الرحمن بن القاسم عالم الديار المصرية ومفتيها أبو عبد الله العتقي صاحب مالك :

ـ عن أسد بن الفرات قال : كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين ، سير (٩/ ١٢١) .

ـ عن ابن القاسم أنه قال لأسد يعني ابن الفرات : أنا أقرأ في اليوم والليلة ختمتين فأنزل لك عن ختمه ـ يعني لاشتغاله به ، سير (١٠/ ٢٢٧) ترتيب المدارك (٢/ ٤٦٦) .

٣٧ ـ بشر بن منصور رحمه الله تعالى :

ـ قال علي بن المديني : حفر قبره ، وختم فيه القرآن ، وكان ورده ثلث القرآن ، سير (٨/ ٣٦٠) .

٣٨ ـ مسعر بن كدام رحمه الله تعالى :

ـ قال محمد بن مسعر قال : كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، سير (٩/ ١٦٥) تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٥) .

٣٩ ـ منصور بن زاذان رحمه الله تعالى :

ـ قال يزيد بن هارون : كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى ، وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر ويختم في اليوم مرتين ويصلي الليل كله ، مختصر قيام الليل (ص ١١٠) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٤١) حلية الأولياء (٣/ ٥٧) .

ـ وقال يحيى بن أبي كثير عن شعبة عن هشام بن حسان : قال : صليت إلى جنب منصور بن زاذان فيما بين المغرب والعشاء فقرأ القرآن في الركعة الأولى وبلغ في الثانية إلى النحل ، وكانوا يؤخرون العشاء لشهر رمضان إلى أن يذهب ربع الليل ، وروى نحوها مخلد بن هشام فاسناده صحيح ، وهذا

أثر صحيح عن منصور بن زاذان تذكرة الحفاظ (١٤١/١) سير (٤٤٢/٥) حلية الأولياء (٥٧/٣) وصححه ابن حجر في شرح الأذكار لابن علان (٢٣٣/١) .

٤٠ ـ عبد الله بن إدريس رحمه الله تعالى :

ـ قال حسين بن عمرو العنقزي قيل لما نزل به الموت بكت ابنته فقال : لا تبكي قد ختمت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة ، تذكرة الحفاظ (٢٨٤/١) سير أعلام النبلاء (٤٤/٩) تاريخ بغداد (٤٢١/٩) شرح صحيح مسلم : (٧٨/١ ـ ٧٩) .

٤١ ـ البويطي الإمام العلامة سيد الفقهاء يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري صاحب الإمام الشافعي لازمه مدة وتخرج به وفاق الاقران :

ـ عن الربيع بن سليمان قال : كان البويطي يصوم ، ويتلو غالباً في اليوم والليلة ختمه مع صنائع المعروف إلى الناس ، سير (٦٠/١٢) طبقات الشافعية للسبكي (١٦٤/٢) .

٤٢ ـ أبو بكر بن عياش الإمام القدوة شيخ الإسلام الكوفي :

ـ قال يحيى الحماني لما احتضر أبو بكر بكت أُخته فقال ما يبكيك ؟ انظري إلى تلك الزاوية قد ختمت فيها القرآن ثماني عشر ألف ختمة ، تذكرة الحفاظ (٢٦٦/١) سير أعلام النبلاء (٥٠٤/٨) .

ـ وقد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة ، سير أعلام النبلاء (٥٠٣/٨) .

ـ وقال النووي : روينا عن ابنه إبراهيم قال : قال لي أبي أن أباك لم يأت فاحشة قط ، وأنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة .

ـ وروينا عنه أنه قال لابنه ـ يا بني إياك أن تعصي الله في هذه الغرفة فاني ختمت فيها اثني عشر ألف ختمة ، شرح صحيح مسلم (٧٩/١) .

٤٣ ـ وكيع بن الجراح الرؤاسي الإمام الحجة القدوة :

ـ عن يحيى بن أكثم قال : صحبنا وكيعاً في السفر والحضر فكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة ، تذكرة الحفاظ (١/١٠٧) المنهج الأحمد (١/٥٩) سير (٩/١٤٢) .

٤٤ ـ اسماعيل بن علية هو ابن إبراهيم بن مقسم أبو بشر الأسدي مولاهم :

ـ قال علي بن المديني : بت ليلة عند اسماعيل بن علية فكان يقرأ ثلث القرآن وما رأيته ضحك قط ، المنهج الأحمد (١/٥٥) .

٤٥ ـ يحيى بن سعيد القطان أمير المؤمنين في الحديث :

ـ قال يحيى بن معين : أقام يحيى القطان عشرين سنة يختم كل ليلة ، تذكرة الحفاظ (١/٢٩٩) سير أعلام النبلاء (٩/١٧٩) المنهج الأحمد (١/٥٧) .

ـ عن عمرو بن علي قال : كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس ، سير (٩/١٧٧ ـ ١٧٨) .

٤٦ ـ مالك بن أنس الإمام الجليل أحد كبار الأئمة الاعلام ممن شدت إليه الرحال فقيه المدينة :

ـ عن ابن وهب قال : قيل لاخت مالك بن أنس ما كان شغل مالك بن أنس في بيته ، قالت : المصحف والتلاوة ، مقدمة الجرح والتعديل (١/١٨) سير أعلام النبلاء (٨/١١١) .

٤٧ ـ عطاء بن السائب الإمام الحافظ محدث الكوفة أبو السائب الكوفي :

ـ أبو داود عن أحمد قال : كان عطاء بن السائب من خيار عباد الله ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، سير (٦/١١٢) ميزان الاعتدال (٣/٧١) .

ـ جاء عنه أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين ، مختصر قيام الليل ص (١١٠) .

٤٨ ـ بيان بن عمرو البخاري العابد :

ـ قال الحسن بن عمرو البخاري : كان يقرأ القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات ، ميزان الاعتدال (١/٣٥٧) ترجمة (١٣٣٤) .

الفصل الرابع

« الحج »

الحج وآثاره النفسية والتربوية :

إن المقصد الأول من العبادات هو الإمتثال لله والوفاء بحقه تعالى ، إضافة إلى الآثار الطيبة والمنافع الكثيرة في حياة المؤمنين افراداً وجماعة .

والحج من أكثر العبادات الإسلامية اشتمالاً على الأمور التعبدية التي لا تعرف حكمتها معرفة تفصيلية على وجه التأكيد ، ولكنه من أكثر العبادات وضوحاً في آثاره في حياة المسلمين وقد قال الله تعالى : ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** . . .﴾ الحج (٢٧ ـ ٢٨) .

فالحج شحنة عاطفية وروحية كبيرة يتزود بها المؤمنون فتملأ جوانحهم الخشية والتقوى والعزم على طاعة الله تعالى ، والإقلاع عن معاصيه ، إن الحج يترك أثره العميق في حياة المسلم فيعود من رحلته اصفى ما يكون قلباً وأطهر مسلكاً ، وأقوى عزيمة على عمل الخير .

والحج توسيع لآفاق المسلم الثقافية باطلاعه على أحوال كثير من المسلمين القادمين من شتى بقاع الأرض ، وتدريب للمسلم على المشاق البدنية بما يبذله من جهود مضنية أثناء أدائه لعباداته ، وتعويد له على الصبر والتحمل لما يرى من مشقة ويبذل من جهد من أجل ضبط مشاعره وعواطفه

عن الثوران لأتفه الأسباب وهو يعلم أنه من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من حجه كيوم ولدته أمه .

ـ والحج تدريب عملي على كثير من المبادىء الإنسانية العليا التي لا تتحقق في كثير من الاحايين إلا في مثل هذه الرحلة المباركة فقد أراد الإسلام أن لا تكون مبادئه وقيمه الإجتماعية مجرد شعارات ترفع أو نداءات ينادي بها الناس ، بل ربطها بعباداته وشعائره ربطاً وثيقاً . فمبدأ المساواة لا يتضح في أجمل وأبهى صوره إلا في رحلة الحج المباركة التي يتساوى فيها الجميع في لباسهن البسيط الموحد الذي لا يفرق بين كبير وصغير وأمير وحقير وغني وفقير الجميع فيه سواءكأنهم يتهيأون جميعاً ليوم العرض الأكبر .

ويتجلى مفهوم السلام في أبهى صوره في هذا النسك العظيم فالمسلم يشعر أنه في أرض الأمن والطمأنينة ، وتنبعث السكينة في قلبه وهي يستشعر أنه آمن في ظل بيت الله ﴿**ومن دخله كان آمناً**﴾ آل عمران (٩٧) أمان يشمل الإنسان والطير والحيوان في هذه البقعة المباركة فلا يصاد صيدها ولا يروع طائرها .

كثيرة هي الآثار التربوية والنفسية التي يتركها في النفس المؤمنة نسك الحج وعبادته فلا نعجب إذن من سلفنا لأنهم كانوا يكثرون من المجيء إلى هذا البيت المبارك في موسم هذه الرحلة المباركة رحلة الحج وسنرى ذلك من خلال ما سنسوقه من تراجم في هذا الميدان .

نماذج من اجتهاد السلف في عبادة الحج :

١ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله وريحانته السيد العظيم الذي أصلح بين الفئتين العظيمتين من المسلمين ، رضي الله عنه : ـ

ـ قال ابن عباس : ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً ، ولقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإن النجائب لتقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى أنه يعطي الخف ويمسك النعل ، سير (٣/٢٦٠) البداية والنهاية (٨/٣٧) تهذيب ابن عساكر (٤/٢١٦ ـ ٢١٧) ، وعلقه البخاري في صحيحه أنه حج ماشياً والنجائب

تقاد بين يديه ، حلية الأولياء (٢ / ٣٧) .

٢ ـ عمر بن الخطاب الفاروق العادل أمير المؤمنين رضي الله عنه :

ـ عن ابن عمر رضي الله عنه قال : ولي عمر فاستعمل عبد الرحمن يعني على الحاج ، ثم كان هو يحج سنينه كلها حتى مات ، مناقب عمر (١٦٩) .

٣ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

ـ كان ابن عمر لا يفوته الحج في كل عام ، نسب قريش ص (٣٥) .

ـ وكان كثير العمرة فعن نافع كان ابن عمر لا يدع عمرة رجب ، طبقات ابن سعد (٤ / ١٦٢) .

ـ وقال نافع مولاه : سافرت مع ابن عمر بضعاً وثلاثين حجة وعمرة ، سير (٥ / ٩٧) .

٤ ـ سعيد بن المسيب إمام التابعين وفقيه المدينة :

ـ عن عبد الرحمن بن حرملة قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : حججت أربعين حجة ، سير (٤ / ٢٢٢) تذكرة الحفاظ (١ / ٥٥) .

٥ ـ سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد أبو محمد الكوفي الاسدي أحد الاعلام عن هلال بن جناب قال : خرجت مع سعيد بن جبير في رجب ، فأحرم من الكوفة بعمرة ، ثم رجع من عمرته ، ثم أحرم الحج في النصف من ذي القعدة ، وكان يحرم في كل سنة مرتين مرة للحج ومرة للعمرة ، سير (٤ / ٣٢٥) الزهد لاحمد (٣٧٠) الحلية (٤ / ٢٧٥) .

٦ ـ طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي اليمني الجندي الحافظ . عن حمزة بن ربيعة عن ابن شوذب : قال : شهدت جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومئة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن حج أربعين حجة ، سير (٥ / ٤٥) .

٧ ـ عطاء بن أبي رباح اسلم الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم أبو محمد القرشي .

ـ قال ابن أبي ليلى : قد حج (يعني عطاء) زيادة على سبعين حجة ، سير (٥/٨٢) .

٨ ـ نافع مولى ابن عمر الإمام المفتي الثبت عالم المدينة أبو عبد الله القرشي ثم العدوي العمري :

ـ روى زيد بن أبي أنيسة : عن نافع قال : سافرت مع ابن عمر بضعاً وثلاثين حجة وعمرة ، سير (٥/٩٧) .

٩ ـ الأسود بن يزيد الإمام أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد العابد عالم الكوفة وابن أخي عالمها علقمة وخال إبراهيم النخعي الفقيه :

ـ روى ابن علية عن ميمون أبي حمزة : سافر الاسود بن يزيد ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وكذلك فعل ابنه ، تذكرة (١/٥١) .

ـ عن علقمة بن مرثد قال : كان الأسود بن يزيد يصوم حتى يخضر جسده ولقد حج ثمانين بين حجة وعمرة ، معرفة القراء (١/٥٠) .

ـ وعن شعبة عن أبي إسحاق قال : حج الأسود ثمانين ما بين حجة وعمرة ، سير (٤/٥١) .

١٠ ـ عمرو بن ميمون الاودي المذحجي الكوفي الإمام الحجة أبو عبد الله :

ـ قال أبو إسحاق : حج عمرو بن ميمون ستين مرة من بين حجة وعمرة وفي رواية مئة مرة ، سير (٤/١٦٠) الحلية (٤/١٤٨) تذكرة (١/٦٥) .

١١ ـ عبد الله بن وهب بن مسلم الإمام شيخ الإسلام أبو محمد الفهري مولاهم البصري الحافظ :

ـ عن سحنون الفقيه قال : كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثاً ، ثلثاً في الرباط ، وثلثاً يعلم الناس بمصر ، وثلثاً في الحج وذكر أنه حج ستاً وثلاثين حجة ، سير (٩/٢٢٦) .

١٢ ـ أبو عثمان النهدي الإمام الحجة شيخ الوقت عبد الرحمن بن مل البصري :

ـ عن عبد القاهر بن السري عن أبيه عن جده قال : وحج ستين مرة ما بين حجة وعمرة ، سير (١٧٧/٤) تاريخ بغداد (٢٠٤/١٠) .

١٣ ـ مكي بن إبراهيم الإمام الحافظ الصادق مسند خراسان أبو السكن التميمي الحنظلي البلخي :

ـ قال عمر بن مدرك : سمعت مكي بن إبراهيم يقول : قطعت البادية من بلخ خمسين مرة حاجاً ، ودفعت في كراء بيوت مكة ألف دينار ومئتي دينار ونيفاً ، سير (٥٥٢/٩) تاريخ بغداد (١١٧/١٣) .

١٤ ـ أيوب السختياني الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم البصري الآدمي :

ـ عن هشام بن حسان قال : إن أيوب السختياني حج أربعين حجة ، سير (٢٠١/٦) تذكرة الحفاظ (١٣١/١) .

١٥ ـ سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم حافظ العصر الإمام الكبير شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي :

ـ روى سليمان بن أيوب : سمعت سفيان بن عيينة يقول : شهدت ثمانين موقفاً ، سير (٤٦٥/٨) .

١٦ ـ فقيه الملة النعمان بن ثابت ابو حنيفة الكوفي : ـ

ـ عن يحيى بن آدم قال : حج أبو حنيفة رحمه الله تعالى خمساً وخمسين حجة ، مناقب الموفق المكي جزء (٢) .

١٧ ـ الإمام الكبير شيخ الإسلام حقاً والإمام صدقاً أحمد بن حنبل الشيباني :

ـ قال عبد الله بن أحمد : حج أبي خمس حجج ثلاث ماشياً واثنتين

راكباً ، وانفق في بعض حجاته عشرين درهماً ، حلية الأولياء (٩/ ١٧٥) .

ـ وقال الإمام أحمد : حججت خمس حجج ، منها اثنتين راكباً ، وثلاث ماشياً ، أو قال ثلاث راكباً واثنين ماشياً ، وقد ضللت في بعضها الطريق وكنت ماشياً فجعلت أقول : يا عباد الله دلوني على الطريق قال : فلم أزل أقول ذلك ، حتى وقفت على الطريق ، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٦) .

١٨ ـ عيسى بن يونس السبيعي الإمام القدوة الحافظ الحجة أبو عمرو ابو محمد الهمذاني الكوفي المرابط بثغر الحدث .

ـ قال أحمد بن خباب : غزا عيسى بن يونس خمساً وأربعين غزوة ، وحج كذلك ، سير (٨/ ٤٩٤) .

١٩ ـ عمارة بن زاذان البصري الصيدلاني أبو سلمة .

ـ قال الحكم بن يزيد : حج عمارة بن زاذان سبعاً وخمسين حجة ، ميزان الاعتدال (٣/ ١٧٦) ترجمة (٦٠٢٤) .

٢٠ ـ همام بن نافع الصنعاني والد عبد الرزاق :

ـ عن عبد الرزاق قال : حج أبي أكثر من ستين حجة ، ميزان الإعتدال (٤/ ٣٠٨) ترجمة (٩٢٥٢) .

٢١ ـ سعيد بن سليمان الحافظ الثبت الإمام أبو عثمان الضبي الواسطي البزاز الملقب بسعدويه .

ـ قال صالح جزرة : سمعت سعيد بن سليمان (سعدويه) يقول : حججت ستين حجة ، سير (١٠/ ٤٨٢) تاريخ بغداد (٩/ ٨٩) .

٢٢ ـ أبو الصلت الشيخ العالم العابد شيخ الشيعة أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي ثم النيسابوري مولى قريش. عن أبي الصلت قال : اختلفت إلى سفيان بن عيينة ثلاثين سنة أسأله ، وكنت آتيه وأنا صبي ، وحججت خمسين حجة ، سير (١١/ ٤٤٨) .

٢٣ ـ الإمام المحدث الحافظ شيخ الحرم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني :

ـ جاء عن الحسن بن أحمد بن الليث : حدثنا ابن أبي عمر العدني : وكان قد حج سبعاً وسبعين حجة ، وبلغني أنه لم يقعد من الطواف ستين سنة رحمه الله ، تهذيب التهذيب (٥١٩/٩) سير أعلام النبلاء (٩٧/١٢) .

الفصل الخامس

« الخوف »

يقول الإمام الغزالي : اعلم أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل . وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة ، وهذا أكمل وأتم ، لان من عرف الله خافه بالضرورة ولهذا قال الله تعالى : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ الأربعين في أصول الدين (ص ١٩٦) .

وقد دعا الله تعالى عباده إلى الخوف منه وحده فقال : ﴿**وإياي فارهبون**﴾ البقرة آية ٤ ، ومدح عباده المؤمنين ووصفهم بالخوف منه فقال : ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ النحل آية ٥٠ ، وجمع الله عز وجل لأهل الخوف الهدى والرحمة والعلم والرضوان والجنان فقال تعالى : ﴿**هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**﴾ الأعراف (١٥٤) وقال : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فاطر آية (٢٨) وقال ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**﴾ البينة آية (٨) وجعل الخوف من شروط كمال الإيمان فقال : ﴿**وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ آل عمران آية (١٧٥) ووعد الله من خاف مقام ربه جنتين فقال : ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ الرحمن آية (٤٦) .

وجعل الله الجنة هي المأوى لمن خاف مقام ربه فقال : ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ النازعات آية (٤٠) .

ولذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه .

والسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وصلوا إلى مرحلة هي أعلى من الخوف وهي الخشية ، والخشية خوف مقرون بعلم يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ .

والخوف دال على الخير يقول الفضيل بن عياض رحمه الله : من خاف الله دله الخوف على كل خير .

وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالخوف من الله تعالى كما جاء عنه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إني أرى ما لا ترون ، وأسمع لا ما تسمعون ، أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله» . أخرجه أحمد (٥/١٧٣) والترمذي في الزهد باب قول النبي لو تعلمون ما أعلم (٤/٥٥٦) واللفظ له ، وابن ماجة في الزهد باب الحزن والبكاء (٢/١٤٠٢) والحاكم (٤/٥٧٩) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٣٦) وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الحاكم : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

وقد بين رسول الله ﷺ أن الخائفين ليسوا هم الذين يرتكبون المعاصي ، فيخافون من نتيجة ذلك وإنما هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ثم يخافون أن لا يقبل منهم .

فقد وضح ذلك في إجابته لسؤال للسيدة عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى ﴿**إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون**﴾ المؤمنون (٥٧ ـ ٦١) .

فقد روى الترمذي في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت

رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت : (أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون ، فقال : لا يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ، ويتصدقون ، ويخافون الا يتقبل منهم ، أولئك يسارعون في الخيرات) أخرجه الترمذي في التفسير والحاكم (٣٩٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي وقال العراقي في تخريج الاحياء بل منقطع بين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب وبين عائشة ، قال الترمذي : وروي عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال الزبيدي في شرح الاحياء (٣٦٢/٩) واللفظ الثاني الذي أشار إليه الترمذي رواه ابن الدنيا وابن جرير وابن الانباري في المصاحف وابن مردويه عن أبي هريرة فانتفت علة الانقطاع بطريق أبي هريرة .

ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من الصالحين من سلف هذه الأمة وجدهم في أعلى مراتب العمل مع غاية الخوف وأما أهل عصرنا فقد جمعوا بين التقصير بل التفريط والأمن .

وحال الصحابة والسلف في العمل واضح فيما أسلفناه من أبواب المجاهدات لهم في صلاتهم وصومهم وقراءتهم لكتاب الله واجتهادهم البالغ في ذلك ، هذا الاجتهاد لم يبعث الغرور في قلوبهم وإنما بعث الخوف في هذه القلوب أن لا يتقبل منهم أعمالهم ، وهذا ما سيتضح لنا من خلال النماذج التي سنوردها في هذا الفصل إن شاء الله تعالى ، عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان من القرون الخيرة الثلاث والله الموفق للصواب .

نماذج من خوف السلف من الله تعالى :

١ ـ سيد الخائفين سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ :

ـ من حديث عائشة : والله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية ، البخاري في الأدب فتح (٥١٣/١٠) الاعتصام (٢٧٦/١٣) مسلم في الفضائل شرح مسلم (١٠٦/١٥) .

ـ وجاء من حديث السيدة عائشة : أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه ، البخاري بدء الخلق (٣٠٠/٦) مسلم الاستسقاء شرح صحيح مسلم (١٩٦/٦).

ـ ومن حديث عبد الله الشخير : أنه كان يسمع لصدره عليه الصلاة والسلام أزير كأزيز المرجل إذا دخل في الصلاة ، أخرجه النسائي في السهو (١٣/٣) أبو داود في الصلاة (١٧٢/٢) الترمذي في الشمائل ص (٣٣٧) الحافظ في الفتح (٢٠٦/٢) وقال إسناده قوي ، وأحمد في مسنده (٢٥/٤) الفتح الرباني (١١١/٤) وصححه ابن حبان موارد (ص ١٣٩) ، وانظر مختصر الشمائل ص ١٦٩ ـ ١٧٢ وإسناده صحيح .

٢ ـ عمر بن الخطاب الخليفة الراشد والإمام العادل :

ـ عن طارق قال : قلنا لابن عباس : أي رجل كان عمر ؟ قال : كان كالطير الحذري الذي كان له بكل طريق شركاً ، مناقب (١٦١) .

ـ وعن الحسن رحمه الله قال : كان عمر رضوان الله عليه ربما توقد له النار ، ثم يدني يده منها ، ثم يقول : ابن الخطاب هل لك على هذا صبر ، مناقب (١٦٢) .

ـ وعن الضحاك قال : قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت اسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء ، وبعضي قديداً ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشراً ، مناقب (١٦٢) .

ـ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخذ نبتة من الأرض ، فقال : ليتني كنت هذه النبتة ، ليتني لم أخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أك شيئاً ، ليتني كنت نسياً منسياً ، طبقات ابن سعد (٣٦٠/٣) مناقب (١٦٢) .

ـ عن ابن عباس رضي الله عنه : أنه دخل على عمر وبين يديه مال ، فنشج حتى اختلفت اضلاعه ، ثم قال : وددت أني أنجو منه كفافاً لا لي ولا علي ، مناقب (١٦٥) .

ـ عن علقمة بن وقاص قال : كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة ، يوسف ، وأنا في مؤخرة الصف حتى إذا ذكر يوسف عليه السلام سمعت نشيجه ، مناقب (١٦٧) .

ـ عن عبد الله بن عيسى قال : كان في وجه عمر رضوان الله عليه خطان أسودان من البكاء ، وفي رواية خطان مثل الشراك من البكاء ، مناقب (١٦٨) .

ـ عن ابن عباس رضي الله عنه قال : رأيت عمر رضوان الله عليه ينشج حتى اختلفت اضلاعه ، مناقب (١٦٨) .

ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : غلب على عمر رضوان الله عليه البكاء ، وهو يصلي بالناس صلاة الصبح فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف ، مناقب (١٦٨) .

٣ ـ الإمام الرباني الفقيه الجليل صحابي رسول الله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه : لأن أكون أعلم أن الله يقبل مني عملاً ، أحب إلي من أن يكون لي ملء الأرض ذهباً ، (يعقوب بن سفيان الفسوي (٢/٥٤٦) .

ـ وقال : لو تعلمون ذنوبي ما وطىء عقبي اثنان ، ولحثيتم التراب على رأسي ، ولوددت أن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي ، واني دعيت عبد الله بن روثه ، سير أعلام النبلاء (١/٣٥٤) ورواه الحاكم (٣/٣١٥) وصححه واقره الذهبي وأبو نعيم في الحلية (١/١٣٣) الفسوي في المعرفة (٢/٥٤٦) .

ـ وعن مسروق قال : قال رجل عند عبد الله : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين ، أكون من المقربين أحب الي ! قال : فقال عبد الله لكن ههنا رجل ودّ لو أنه إذا مات لم يبعث، يعني نفسه، حلية الأولياء (١/١٣٣) أحمد في الزهد (١٥٦) ابن سعد (٣/١٥٨) .

ـ وعن زيد بن وهب قال : رأيت ابن مسعود وبكى حتى رأيت دموعه في الحصى ، وكيع في الزهد (٢٢) .

ـ عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال : لما

حضر عبد الله الوفاة قال له ابنه عبد الرحمن يا أبت اوصني قال : ابك من ذكر خطيئتك ، المطالب العالية (٣/ ١٩٠) وعزاه لمسدد وإسناده لا بأس به .

٤ ـ الإمام الرباني الفقيه الجليل صحابي رسول الله معاذ بن جبل رضي الله عنه :

ـ غلب عليه أول النزع الخوف من سوء العاقبة فجعل يبكي ، فقيل له : أتبكي وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما أبكي جزعاً من الموت أن حل بي ، ولا دنيا تركتها بعدي ، ولكن إنما هما القبضتان فلا أدري من أي القبضتين أنا ، أسد الغابة (   ) .

٥ ـ الفقيهة الجليلة حبيبة رسول الله ﷺ بنت الصديق الأكبر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

ـ جاء عنها أنها قالت : وددت أني كنت نسياً منسياً ، إسناده صحيح أخرجه أحمد في الزهد (١٦٤) هناد في الزهد (رقم ٤٤١) وعبد الرزاق في المصنف (١١/ ٣٠٧ وأبو نعيم في الحلية (١/ ٤٠) وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة رقم (٧٥٠) والبخاري في خلق أفعال العباد (٢٥) من حديث طويل أوله : كانت تقول : يا ليتني كنت نسياً منسياً .

ـ وقد جاء عن ابن أبي مليكة قال : استأذن ابن عباس قبيل موتها على عائشة رضي الله عنها ، وهي مغلوبة ، قالت : أخشى أن يثني علي ، فقيل : ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين قالت : ائذنوا له . فقال : كيف تجدينك ؟ قالت : بخير ان اتقيت ، قال : فأنت بخير إن شاء الله تعالى زوجة رسول الله ﷺ ، ولم ينكح بكراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء. ودخل ابن الزبير فقالت : دخل ابن عباس فأثنى علي ، وددت اني كنت نسياً منسياً ، أبن سعد (٧/ ٧٤ ـ ٧٥) أحمد (١/ ٧٦ ، ٣٤٩) فضائل الصحابة (٤٨٩ رقم ٧٥١) البخاري تفسير سورة النور باب إذ تلقونه بالسنتكم (٨/ ٤٨٣) واللفظ له .

ـ وجاء عنها قولها : وددت اني كنت شجرة اعضد وددت أني لم أخلق ،

إسناده صحيح ،أحمد في الزهد (١٦٤) ابن سعد (٧/ ٧٥) وابن المبارك في الزهد (٨) .

٦ ـ أصدق الناس لهجة وأزهدهم في دنياه صحابي رسول الله أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

ـ جاء عنه أنه قال : والله لوددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ، ويؤكل ثمرها، تعضد :تقطع. أبو نعيم في الحلية (٢/ ٦٤) أحمد في الزهد (١٤٦) أحمد في المسند (٥/ ١٧٣) الترمذي (٤/ ٥٥٦) أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والحاكم (٤/ ٥٧٩) وعنه البيهقي (٧/ ٥٥) عن أبي ذر مرفوعاً في حديث طويل موضع الشاهد منه لوددت اني كنت شجرة تعضد إلا أن الإمام أحمد قال بعد ذكر الحديث قال : فقال أبو ذر : والله لوددت اني كنت شجرة تعضد موقوفاً عليه .

٧ ـ الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه :

ـ عن عثمان بن أبي سودة : قال رأيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه و على هذا الحائط ـ حائط المسجد المشرف على وادي جهنم وواضعاً صدره عليه ، وهو يبكي ، فقلت يا أبا الوليد ما يبكيك ؟ قال : هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيه جهنم ، أبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٠) .

٨ ـ المقتفى أثر رسول الله والمتبع سنته الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

ـ قال نافع : كان ابن عمر إذا قرأ ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم إلى ذكر الله**﴾ بكى حتى يغلبه البكاء ، سير (٣/ ٢١٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) ورجاله ثقات .

ـ عن عبدالله بن عمير عن أبيه : أنه تلا ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد**﴾ فجعل يبكي حتى لثقت لحيته وجيبه من دموعه، فأراد رجل أن يقول لأبي : أقصر ، فقد آذيت الشيخ ، لثقت : ابتلت ، سير (٣/ ٢١٤) ، ابن سعد (٤/ ١٦٢) .

ـ عن سمير الرياحي عن أبيه قال : شرب عبد الله بن عمر ماءً مبرداً فبكى فاشتد بكاؤه ، فقيل له : ما يبكيك فقال : ذكرت آية في كتاب الله عز وجل ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء البارد ، وقد قال الله عز وجل : ﴿**أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ صفة الصفوة (١/ ٥٧٨) .

ـ وقال سفيان بن مالك : انطلقت مع ابن عمر إلى عبيد بن عمير وهو يقص على أصحابه فنظرت إلى ابن عمر فإذا عيناه تهراقان ، الطبقات (٤/ ١٦٢) .

ـ قال القاسم بن أبي بزة : حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنهما قرأ ﴿**ويل للمطففين**﴾ حتى بلغ ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ قال : فبكى حتى خر ، وامتنع عن قراءة ما بعدها ، حلية الأولياء (١/ ٣٠٥) سير (٣/ ٢٣٦) .

ـ عن نافع قال : ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى : ﴿**ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله . . .**﴾ الآية ثم يقول : إن هذا لإحصاء شديد . حلية الأولياء (١/ ٣٠٥) .

٩ ـ الصحابي الجليل حبر الأمة وشيخ المفسرين ابن عم رسول الله عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

ـ عن عبد الله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من التسبيح والنحيب ، سير (٣/ ٣٣٦) صفة الصفوة (١/ ٧٥٥) .

ـ عن أبي رجاء قال : كان هذا الموضع من ابن عباس (مجرى الدموع) كأنه الشراك البالي ، حلية الأولياء (١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٩) .

١٠ ـ حكيم الأمة وشيخ الزهاد أبو الدرداء عويمر رضي الله عنه :

ـ جاء عنه أنه قال : وددت اني كبش أهلي فمر عليهم ضيف فأمروا

على اوداجي فأكلوا وأطعموا ، ابن المبارك في الزهد (٢٣٨) (ص ٨٠) .

ـ وجاء عنه قوله : يا ليتني كنت شجرة تعضد ولم أك بشراً ، عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (١٣٨) .

١١ ـ الصحابي الجليل الأمير الشهيد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

ـ عن قيس بن أبي حازم أن عبد الله بن رواحة بكى فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك ؟ فقالت : رأيتك بكيت فبكيت ، فقال : إني انبئت اني وارد ولم أنبأ أني صادر ، أحمد في الزهد (٢٠٠) وهناد في الزهد (٢٢١) الحاكم (٤/٥٨٨) وقال صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي وفيه ارسال وابن المبارك في الزهد (١٠٤) الطبري تفسير (١٦/٨٢ ـ ٨٣) ومدار الإسناد على قيس بن أبي حازم وروايته عن ابن رواحة مرسلة إلا أن قصة بكاء ابن رواحة ثابتة من طرق أخرى : أنظر ابن المبارك في الزهد (١٠٤) (١٠٥) أبو نعيم في الحلية (١/١١٨) الطبري تفسير (١٦/٨٢ ـ ٨٣) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٤١) وهناد في الزهد (٢٢٢) وهذه الروايات تشد بعضها بعضاً وتجعل الأثر صحيحاً والله أعلم .

١٢ ـ الصحابي الجليل قائم الليل وصائم النهار عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي رضي الله عنهما :

ترغيبه في الخوف من الله :

ـ عن ابن أبي مليكة أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولو تعلمون حق العلم ، لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ، ولسجد حتى ينقطع صلبه ، إسناده صحيح أبو نعيم في الحلية (١/٢٨٩) وكيع في الزهد (٢٠) هناد في الزهد رقم (٤٥٧) ابن المبارك في زيادات الزهد للمروزي (٣٥٦) الحاكم (٤/٥٧٨ ـ ٥٧٩) وصححه على شرط الشيخين واقره الذهبي .

ـ وعن ابن أبي مليكة أنه قال : مر رجل على عبد الله بن عمرو وهو ساجد في الحجر ، وهو يبكي فقال : اتعجب أن أبكي من خشية الله وهذا

القمر يبكي من خشية الله ، قال : ونظر إلى القمر حين شف أن يغيب ، ابن المبارك في الزهد (٥٢٩) ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل كما في المختصر للمقريزي له صفحة (١٠٠) .

١٣ ـ التابعي الجليل ثابت بن أسلم البناني رحمه الله تعالى :

ـ قال حماد بن زيد : رأيت ثابتاً يبكي حتى تختلف اضلاعه ، تذكرة الحفاظ (١/١٢٥) .

١٤ ـ الأسود بن يزيد النخعي الإمام القدوة أبو عمرو الكوفي :

ـ عن علقمة بن مرثد قال : كان الأسود يجتهد في العبادة ، ويصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى ، فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه ، مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه ، سير أعلام النبلاء (٤/٥١) زهد الثمانية صفحة (٥٤) .

١٥ ـ هرم بن حيان العبدي الازدي البصري أحد العابدين :

ـ عن الحسن البصري : قال : خرج هرم بن حيان وعبد الله بن عامر يريدان أرض الحجاز ، قال فبينما هما يسيران على راحلتيهما يخالجان ذلك الشجر ، فقال ابن حيان : يا ابن عامر ! أيسرك أنك شجرة من هذه الشجر أكلتك هذه الراحلة ، فقذفتك بعراً ، فاتخذت جلة . قال : لا والله لما أرجو من رحمة الله أحب إلي من ذلك ، فقال هرم : ولكني والله لوددت اني الشجرة من هذه الشجرة ، أكلتني هذه الناقة ، فقذفتني بعراً ، فاتخذت جلة ، ولم أكابد الحساب يوم القيامة ، إما إلى جنة وإما إلى نار ، ويحك يا ابن عامر إني أخاف الداهية الكبرى ؟ قال الحسن : كان والله أفقههما وأعلمهما بالله عز وجل ، أحمد في الزهد (٢٣٣) ابن المبارك في الزهد (٨٠) أبو نعيم في الحلية (٢/١١٩ ـ ١٢٠) سير (٤/٤٩) .

١٦ ـ مطرف بن عبد الله بن الشخير الإمام القدوة الحجة أبو عبد الله الحرشي العامري البصري :

ـ قال مهدي بن ميمون قال مطرف : لقد كان خوف النار يحول بيني وبين أن أسأل الله الجنة ، سير (٤/١٩٤) ، الزهد لأحمد (٢٣٩) .

١٧ ـ عبد الله بن أبي الهذيل القدوة العابد الإمام أبو المغيرة العنزي الكوفي :

ـ قال ابو التياح : ما رأيته إلا وكأنه مذعور ، وقال العوام : قال ابن أبي الهذيل : اني لأتكلم حتى اخشى الله واسكت حتى أخشى الله ، سير (٤/١٧٠) حلية (٤/٣٥٨ ، ٣٥٩) .

١٨ ـ الربيع بن خيثم بن عائذ الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام :

ـ قال له ابن مسعود : يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين ، المخبتون : المطمئنون ، المتواضعون الخاشعون لربهم ، سير (٤/٢٥٨) ، الحلية (٢/١٠٦) ، ابن سعد (٦/١٨٢ ، ١٨٣) .

ـ عن ابنة للربيع قالت : كنت أقول يا أبتاه الا تنام ؟ فيقول : كيف ينام من يخاف البيات ، سير (٤/٢٦٠) ، المعرفة والتاريخ (٢/٥٧٠) الحلية (٢/١١٤ ، ١١٥) .

١٩ ـ علي بن الحسين زين العابدين الهاشمي العلوي السيد الإمام :

ـ عن عبد الله بن أبي سليمان قال : كان علي بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بها ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة . . فقيل له : فقال تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي ، سير (٤/٣٩٢) ابن سعد (٥/٢١٦) ، الحلية (٣/١٣٣) .

٢٠ ـ الحسن بن أبي الحسن البصري كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً :

ـ عن حوشب عن الحسن قال : يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ، ليطولن في الدنيا حزنك ، وليشتدن في الدنيا خوفك ، وليكثرن في الدنيا

بكـاؤك ، سيـر (٤/ ٥٧٥) ، الـزهـد لأحمـد (٢٥٩) حلية (٢/ ١٣٣ ، ١٣٤) .

ـ قـال إبراهيم بن عيسى اليشكـري : مـا رأيت أحـداً أطـول حـزنـاً من الحسن ، مـا رأيته إلا حسبتـه حديث عهـد بمصيبة ، سيـر (٤/ ٥٧٥) أحمد الزهد (٢٥٩) حلية (٢/ ١٣٣) .

ـ وجاء عنه قوله : ضحك المؤمن غفلة من قلبه ، سيـر (٤/ ٥٨٥) ابن سعد (٧/ ١٧٠) حلية (٢/ ١٥٢) أحمد في الزهد (٢٧٩) .

ـ وجاء عنه : فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذي لب فرحاً ، الحلية (٢/ ١٤٩) أحمد في الزهد (٢٥٨) سير (٤/ ٥٨٥) .

ـ وجاء عنه قوله : ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك ، الحلية (٢/ ١٤٨) سير (٤/ ٥٨٥) .

ـ وعن يـزيد بن حـوشب قال : مـا رأيت أخوف من الحسن ، وعمـر بن عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما ، مناقب عمر (٢٢٦) .

٢١ ـ أبو صالح السمان القدوة الحافظ الحجـة ذكوان بن عبـد الله مولى أم المؤمنين جويريـة الغطفانية كان من كبار العلماء بالمدينة .

ـ عن الأعمش قال : كان أبو صالح مؤذناً فـأبطأ الإمـام ، فأمنـا فكان لا يكاد يجيزها من الرقة والبكاء ، رحمه الله ، سير (٥/ ٣٧) .

٢٢ ـ طلحـة بن مصـرف بن عمـرو بن كعب الإمـام الحـافظ المقـرىء المجود شيخ الإسلام أبو محمد اليامي الهمذاني الكوفي :

ـ قال فضيل بن عياض : بلغني عن طلحة أنـه ضحك يـوماً فـوثب على نفسه ، وقال : لم تضحك إنما يضحك من قطع الأهـوال ، وجاز الصـراط ثم قال آليت أن لا أفتر ضاحكاً حتى أعلم بم تقع الواقعة ، فما رئي ضاحكاً حتى صار إلى الله ، سير (٥/ ١٩٢) .

٢٣ ـ محمد بن المنكدر بن عبد الله الهديـر الإمام الحـافظ القدوة شيـخ الإسلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني :

ـ قال الحميدي : حدثنا سفيان قال : كان ابن المنكدر يقول : كم من عين ساهرة في رزقي في ظلمات البر والبحر ، وكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ، ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع ، سير (٥/٣٥٨) .

ـ وهو الذي قال : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت ، سير (٥/٣٥٥) .

ـ وكان من شدة خوفه من الله تعالى ينتفع الناس برؤيته بمجرد النظر إليه يذكرهم ذلك بمخافة الله تعالى : قال ابن الماجشون : أن رؤية محمد بن المنكدر لتنفعني في ديني ، سير (٥/٣٦٠) .

٢٤ ـ صفوان بن سليم الإمام الثقة الحافظ الفقيه أبو عبد الله وقيل أبو الحارث القرشي الزهري المدني :

ـ قال ابن عيينه : حج صفوان ، فذهبت بمنى فسألت عنه ، فقيل لي : إذا دخلت مسجد الخيف ، فات المنارة ، فانظر أمامها قليلاً شيخاً ، إذا رأيته علمت أنه يخشى الله تعالى ، فهو صفوان بن سليم ، فما سألت عنه أحداً حتى جئت كما قالوا : فإذا أنا بشيخ كما رأيته علمت أنه يخشى الله ، فجلست إليه فقلت : أنت صفوان بن سليم قال : نعم ، سير (٥/٣٦٦) .

ـ عن يعقوب بن محمد الزهري عن أبي زهرة مولى بني أمية سمعت صفوان بن سليم يقول : في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا ، وإن كان ذا غصص وكرب ثم ذرفت عيناه ، سير (٥/٣٦٦) .

٢٥ ـ عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري شيخ بني أمية .

ـ عن عمر بن ذر قال : حدثني عطاء بن أبي رباح : قال حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه ، يده على خده ، سائلة دموعه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألشيء حدث ؟ قال : يا فاطمة ! إني تقلدت امر أمة محمد ﷺ ، فتفكرت في الفقير الجائع ،

والمـريض الضائـع ، والعـاري المجهـود ، والمـظلوم المقهـور ، والغـريب المأسور ، والكبيـر ، وذي العيال في أقـطار الأرض ، فعملت أن ربي سيسألني عنهم ، وإن خصمهم دونهم محمـد ﷺ ، فخشيت ان لا تثبت لي حجة عنـد خصـومته ، فـرحمت نفسي فبكيت ، سيـر (١٣١/٥) منـاقب عمـر بن عبـد العزيز (٢٥٢ ـ ٢٢٣) بزيادة بعض الألفاظ .

ـ عن جرير بن حـازم عن مغيرة بن حكيم قـال : قالت لي فـاطمة امـرأة عمر بن عبد العزيز يا مغيرة أنه يكون في الناس من هو أكثـر صلاة وصيـاماً من عمر بن عبد العزيز ، وما رأيت أشد فرقاً من ربـه منه كـان إذا صلى العشاء ، قعد في مسجده ، ثم يرفع يديه ، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينـه ، ثم ينتبه ، فلا يزل يدعو رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عينه ، يفعل ذلك ليله أجمع ، سيـر (١٣٧/٥) تذكرة (١٢٠/١) مناقب عمر بن عبد العزيز (٢٢٢) .

ـ وعن ابن المبـارك عن هشام بن الغـاز عن مكحـول قـال : لـو حلفت لصدقت ما رأيت ازهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز ، سير (١٣٧/٥) تذكرة (١٢٠/١) .

ـ وعن أبي حـاتم قال : لمـا مرض عمـر بن عبـد العـزيـز جيء بـطبيب فقال : به داء ليس له دواء ، غلب الخوف على قلبه ، سير (١٣٧/٥) .

ـ وعن عـطاء قال : كـان عمر بن عبـد العزيـز يجمـع كـل ليله الفقهـاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ويبكون ، سير (١٣٨/٥) .

ـ وقال سعيد بن أبي عروبة: كان عمر بن عبد العـزيز إذا ذكـر الموت ، اضطربت أوصاله ، سير (١٣٨/٥) ، مناقب (٢٢٧) .

ـ قال معاوية بن يحيى : حدثنا أرطأة قال : قيل لعمـر بن عبد العـزيز ، لـو جعلت على طعـامـك أمينـاً لا تغتـال ، وحـرسيـاً إذا صليت ، وتنـح عن الطاعون قال : اللهم إن كنت تعلم اني أخوف يوماً دون يـوم القيامـة فلا تؤمن خوفي ، سير (١٣٩/٥) مناقب (٢٢٦) .

ـ عن عبـد الله بن الوليـد بن أبي السائب قـال : سمعت أبي يقول : مـا

رأيت أحداً قط كان الخوف على وجهه أبين منه على عمر بن عبد العزيز ، مناقب (٢٢٤) .

ـ عن يزيد بن حوشب قال : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما ، مناقب (٢٢٦) .

٢٦ ـ منصور بن المعتمر الحافظ الثبت القدوة أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الأعلام :

ـ قال خلف بن تميم حدثنا زائدة أن منصور صام أربعين سنة ، وقام ليلها ، وكان يبكي فتقول له أمه : يا بني قتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، فإذا كان الصبح ، كحل عينيه ، ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس ، سير (٥/٤٠٦) .

ـ وذكر سفيان بن عيينه منصوراً فقال : قد كان عمش من البكاء ، سير (٥/٤٠٦) .

٢٧ ـ يحيى بن أبي كثير الإمام الحافظ أحد الاعلام أبو نصر الطائي مولاهم اليمامي :

ـ قال ابن حبان : كان من العباد ، إذا حضر جنازة ، لم يتعشى تلك الليلة ، ولا يكلمه أحد. سير (٦/٢٢٨) .

٢٨ ـ عطاء بن السائب الإمام الحافظ محدث الكوفة ابو السائب كان من كبار العلماء .

ـ عن أبي بكر بن عياش قال : كنت إذا رأيت عطاء بن السائب وضرار بن مرة رأيت أثر البكاء على خدودهما ، سير (٦/١١٣) .

٢٩ ـ عطاء السليمي البصري العابد من صغار التابعين :

وكان قد أرعبه فرط الخوف من الله تعالى .

ـ قال نعيم بن مورع : أتينا عطاء السليمي فجعل يقول : ليت عطاء لم تلده أمه وكرر ذلك حتى اصفرت الشمس .

ـ قال أحمد الدورقي : حدثنا علي بن بكار قال : تركت عـطاء السليمي فمكث أربعين سنة على فراشه لا يقوم من الخوف ، ولا يخرج ، وكـان يوضـأ على فراشه .

ـ قال أبو سليمان الداراني : اشتـد خوفـه ، فكان لا يسـأل الجنة ، بـل يسأل الخوف ، سير (٦/ ٨٧) .

٣٠ ـ سليمـان بن طرخـان الإمـام شيـخ الإسـلام أبـو المعتمـر التميمي البصري :

ـ عن سعيـد بن عـامـر الضبعي قـال : مـرض سليمـان التيمي فبكى ، فقيل : ما يبكيك ؟ قال : مررت على قدري فسلمت عليه ، فأخـاف الحساب عليه ، سير (٦/ ٢٠٠) .

٣١ ـ يونس بن عبيد بن دينار الإمام القـدوة الحجة أبـو عبد الله العبـدي مولاهم البصري من صغار التابعين وفضلائهم :

ـ قال سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال : ما كان يونس بأكثرهم صلاة ولا صوماً ، ولكن لا والله ما حضر حق الله إلا وهو متهيء لـه ، سير (٦/ ٢٩١) .

ـ وعن سعيد بن عامر عن جسر أبي جعفـر قال : دخلت على يـونس بن عبيد أيام الأضحى ، فقال: خذ لنا كذا وكذا من شاة ، ثم قـال : والله ما أراه يتقبل مني شيء ، قد خشيت أن أكون من أهل النار .

ـ قال الذهبي : كل من لم يخشى أن يكون في النار فهو مغـرور قد أمن مكر الله ، سير (٦/ ٢٩١) .

٣٢ ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمـام العلامـة الحافظ شيـخ الحرم أبو خالد وأبو الوليد القرشي الاموي المكي صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة :

ـ قـال عبد الـرزاق : كنت إذا رأيت ابن جريـج علمت أنه يخشى الله ، سير (٦/ ٣٣٢) .

٣٣ ـ أبو حنيفة الامام فقيه الملة عالم العراق النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي إمام الأئمة الفقهاء :

ـ عن يحيى بن سعيد القطان : قال : جالسنا أبا حنيفة وسمعنا منه ، وكنت والله إذا نظرت إليه ، عرفت في وجهه انه يتقي الله عز وجل .

ـ وعن ابن المبارك قال : دخلت الكوفة فسألت عن أفقه أهلها ، فقيل لي : ابو حنيفة ، وسألت عن أزهد أهلها : فقيل لي : أبو حنيفة ، وسألت عن أورع أهلها فقيل لي : أبو حنيفة ، مناقب الكردري (١٩١/١) .

ـ روى الموفق المكي بسنده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : ذكر أبو حنيفة عند أحمد بن حنبل فقال رحمه الله كان ورعاً ضرب على القضاء احدى وعشرين سوطاً فأبى ، مناقب (١٤٨/٢) .

ـ وعن عبد الرزاق قال : كنت إذا رأيت أبا حنيفة رأيت آثار البكاء في عينيه وخديه ، مناقب (٢١٤/١) .

ـ وعن ضرار بن صرد قال : سمعت يزيد بن الكميت وكان من خيار الناس يقول : كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى ، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة من العشاء الآخرة ﴿**إذا زلزلت الأرض** . . .﴾ وأبو حنيفة خلفه ، فلما قضينا الصلاة وخرج الناس ، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس . فقلت : أقوم لا يشتغل قلبه ، فلما خرجت تركت القنديل لم يكن فيه إلا زيت قليل ، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم قد أخذ بلحية نفسه ويقول : يا من يجزي بمثقال ذرة خيراً بخير ، ويا من يجزي بمثقال ذرة شراً بشر أجر النعمان عبدك من النار ، وما يقرب منها من سوء ، وادخله في سعة رحمتك ، قال : فأذنت فإذا القنديل يزهر وهو قائم ، فلما دخلت قال لي : أتريد أن تأخذ القنديل ؟ قال : قلت : أذنت لصلاة الغداة ، قال : أكتم ما رأيت ، وركع ركعتي الفجر ، وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل ، مناقب الموفق المكي (٢٣٨/١) .

٣٤ ـ سفيان بن سعيد بن مسروق شيخ الإسلام إمام الحفاظ ، سيد

العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب الجامع :

ـ عن عبد الله بن خبيق قال يوسف بن أسباط : كان سفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم ، سير (٢٤٢/٧) (٢٧٧) .

ـ قال قبيصة : كان سفيان إذا نظرت إليه كأنه راهب فإذا أخذ في الحديث أنكرته .

ـ قال الذهبي : قلت : قد كان لحق سفيان خوف مزعج إلى الغاية ، قال ابن مهدي : كنا نكون عنده فكأنما وقف للحساب ، وسمعه عثام بن علي يقول : لقد خفت الله خوفاً ، عجباً لي ! كيف لا أموت ولكن لي أجل وددت أنه خفف عني من الخوف ، أخاف أن يذهب عقلي ، سير (٢٧٦/٧) .

ـ وقال حماد بن دليل : سمعت الثوري يقول : إني لأسأل الله أن يذهب عني من خوفه ، سير (٢٧٦/٧) .

ـ وقال ابن مهدي : كنت ارمق سفيان في الليلة بعد الليلة ، ينهض مرعوباً ينادي : النار ، النار شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، سير (٢٧٦/٧) .

ـ قال أبو نعيم : كان سفيان إذا ذكر الموت لم ينتفع به أياماً ، سير (٢٧٦/٥) .

ـ عن أبي أسامة قال : ما رأيت أحداً أخوف لله من سفيان ، حلية الأولياء (٣٩٢/٦) .

ـ وعن ابن أبي حاتم بسنده أن سفيان كان إذا ذكر الموت مكث أياماً لا ينتفع به ، فإذا سئل عن شيء قال : ما أدري ما أدري ، مقدمة الجرح والتعديل ص (٨٥) .

ـ عن عبد الله بن رجاء المكي يقول : ما رأيت أحداً أكثر ذكراً للموت من سفيان ، مقدمة الجرح والتعديل (١٠٣) .

ـ ومن شدة خوفه كان يكثر من التفكر بأمر الآخرة فكما جاء عن

محمد بن عصام عن أبيه : أن سفيان كـان يأخـذ في التفكر فينـظر إليه النـاظر فيقول مجنون ، المقدمـة ص (٩١) .

٣٥ ـ هشام الدستوائي الحافظ الحجـة الإمام الصـادق أبو بكـر البصري الربع مولاهم :

ـ عن عبيـد الله العيشي : قال : كـان هشام الـدستوائي إذا فقـد السراج من بيتـه يتمدد على فـراشه ، فكـانت امرأتـه تأتيـه بالسـراج ، فقالت لـه في ذلك . فقال : اني إذا فقدت السراج ذكرت ظلمة القبر .

وقال شاذ بن فياض : بكى هشام الـدستوائي حتى فسـدت عينه فكـانت مفتوحة وهو لا يكاد يبصر بها ، سير (١٥٢/٧) .

٣٦ ـ الحسن بن صالح الإمام الكبير أحد الاعلام أبو عبد الله الهمـذاني الثوري الكوفي الفقيه العابد أخو الإمام علي بن صالح .

ـ عن أبي سليمـان الداراني قـال : مـا رأيت أحـداً الخـوف أظهـر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة بعمّ يتساءلون فغشي عليه ، فلم يختمها إلى الفجر ، سير (٣٦٩/٧) التذكرة (٢١٧/١) .

ـ قال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي : كنت عند ابني صالح ، ورجـل يقـرأ ﴿**لا يحـزنهم الفـزع الأكبـر**﴾ الأنبيـاء (١٠٣) فـالتفت علي إلى أخيـه الحسن ، وقد اخضر واصفر ، فقال : يا حسن إنها إفزاع فوق إفزاع ، ورأيت الحسن أراد أن يصيـح ، ثم جمع ثـوبه، فعض عليـه ، حتى سكن عنه وقـد ذبل فمه واخضر واصفر ، سير (٣٧٠/٧) حلية الأولياء (٣٣٠/٧) .

٣٧ ـ سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى الإمـام القدوة مفتي دمشق أبـو محمد التنوخي الدمشقي :

ـ قال أبو زرعـة : حدثني أبـو النضر اسحـاق بن إبراهيم : قـال : كنت اسمـع وقـع دمـوع سعيـد بن عبـد العـزيـز على الحصيـر في الصـلاة (سيـر ٣٤/٨) .

ـ قال أحمد بن أبي الحواري : حدثني أبو عبد الرحمن الأسدي قـال :

قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرف لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : لعل الله أن ينفعني به ، فقال : ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم ، سير (٣٤/٨) .

ـ عن مروان بن محمد الطاطري قال : قال : قال محمد بن المبارك الصوري : كان سعيد إذا فاتته صلاة الجماعة بكى ، سير (٣٤/٨) .

٣٨ ـ عبد الله بن المبارك الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه ، وأمير الأتقياء في وقته ، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم الحافظ الغازي أحد الاعلام .

ـ قال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق ، يصير كأنه ثور منحور ، أو بقرة منحورة من البكاء ، لا يجترىء أحد منا ان يسأل عن شيء إلا دفعه ، تاريخ بغداد (١٦٦/١٠) سير (٣٩٤/٨) .

ـ وقد جاء عنه أنه قال : أكثركم علماً ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً ، حلية الأولياء (١٦٨/٨) .

٣٩ ـ الفضيل بن عياض الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله :

ـ عن إبراهيم بن الأشعث : ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل كان إذا ذكر الله ، أو ذكر عنده ، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن ، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره وكان دائم الحزن شديد الفكرة ، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعطائه ، ومنعه وبذله ، وبغضه وحبه ، وخصاله كلها غيره ، كنا إذا خرجنا معه في جنازة، لا يزال يعظ ، ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه ، ذاهب إلى الآخرة ، حتى يبلغ المقابر ، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها ، سير (٤٢٦/٨) .

ـ وقال فيض بن اسحاق : سمعت الفضيل يقول : والله لان أكون تراباً أحب إلي من أن أكون في مسلاخ أفضل أهل الأرض ، وما يسرني أن أعرف الامر حق معرفته ، إذاً لطاش عقلي ، سير (٤٣٢/٨) .

ـ عن ابن المبارك قال : إذا نظرت إلى الفضيل جدد لي الحزن ، ومقت نفسي ثم بكى ، سير (٨/٤٣٨) .

ـ عن سفيان بن عيينه : قال : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه ، سير (٨/٤٤٥) .

٤٠ ـ علي بن الفضيل بن عياض من كبار الأولياء :

ـ عن أبي بكر بن عياش قال : صليت خلف فضيل بن عياض المغرب ، وابنه علي إلى جانبي فقرأ ﴿**الهاكم التكاثر**﴾ فلما بلغ ﴿**لترون الجحيم**﴾ سقط علي على وجهه مغشياً عليه ، وبقي فضيل عند الآية فقلت : في نفسي ، ويحك أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعلي ، فلم أزل انتظر علياً ، فما أفاق إلى ثلث من الليل بقي ، سير (٨/٤٤٤) .

ـ قال ابن المبارك للفضيل : يا أبا علي ما أحسن من انقطع إلى الله فسمع ذلك علي ابنه فسقط مغشياً عليه ، سير (٨/٤٤٤).

ـ عن محمد بن أبي عثمان : قال : كان علي بن الفضيل عند سفيان بن عيينة ، فحدث بحديث فيه ذكر النار ، فشهق علي شهقة ، ووقع ، فالتفت سفيان فقال: لوعلمت أنك ها هنا ما حدثت به ، فما أفاق إلا بعد ما شاء الله ، سير (٨/٤٤٥) .

ـ قال أبو سليمان الداراني : كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تقرأ عليه ، سير (٨/٤٤٥) حلية (٨/٢٩٩) .

ـ عن سفيان بن عيينة قال : ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه ، سير (٨/٤٤٥) .

٤١ ـ الإمام الشافعي محمد بن إدريس عالم العصر ناصر الحديث ، فقيه الملة ، أبو عبد الله القرشي المطلبي المكي الغزي المولد ، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه :

خوفه وخشوعه :

ـ قال تميم بن عبد الله : سمعت سويد بن سعيد يقول : كنت عند

سفيـان ، فجاء الشـافعي ، فسلم وجلس ، فـروى ابن عيينـة حـديثـاً رقيقـاً ، فغشي على الشافعي ، فقيل : يا أبا محمـد ، مات محمـد بن إدريس ، فقال ابن عيينة : إن كان مات فقد عاش افضل أهل زمانـه . حلية (٩/ ٩٥) تـاريخ ابن عسـاكر (١٤/ ٤٠٤/ ٢) منـاقب الـرازي (١٧ ، ١٨) سيـر (١٠/ ١٧ - ١٨) .

ـ عن المـزني قال دخلت على الشـافعي في مرضـه الـذي مـات فيـه ، فقلت يا أبا عبد الله ، كيف اصبحت ؟ فرفع رأسه وقـال : اصبحت من الدنيا راحلاً ، ولإخـواني مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقيـاً ، وعلى الله وارداً ، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها ثم بكى ، وانشأ يقول :

ولمـا قسى قلبي وضـاقت مـذاهبي   جعلت رجـائي دون عفـوك سلمـاً
تـعـاظمني ذنـبي فـلمـا قـرنـتـه   بعفـوك ربي كـان عفـوك اعـظمـاً
فمـا زلت ذا عفو عن الـذنب لم تزل   تـجـود وتـعـفـو منـة وتـكـرمـاً
فـان تـنتـقم مـني فـلسـت بـآيسٍ   ولـو دخلت نفسي بجـرمي جهنمـاً
ولسولاك لم يغـوي بـابليس عـابـدٌ   فكيف وقـد اغـوى صفيـك آدمـاً
وانـي لآتي الـذنـب اعـرف قـدره   واعـلـم أن الله يـعـف تـرحـمـاً

منـاقب الشـافعي للبيهقي (٢/ ١١١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤) معجم الأدبـاء (١٧/ ٣٠٣) طبقـات الشـافعيـة للسبكي (١/ ١٥٦) ، تـاريـخ ابن عسـاكـر (١٥/ ٢١) توالي التأسيس (٨٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٦) وقال اسناده ثابت عنه .

٤٢ ـ أحمد بن حنبل هو الإمام حقاً وشيخ الإسـلام صدقـا ابو عبـد الله الشيباني .

ـ عن زهيـر بن صالـح : حدثنـا أبي قال : سمعت أبي كثيراً يتلو سـورة الكهف ، وكثيراً ما كنت اسمعه يقول اللهم سلم سلم ، سير (١١/ ٢٢٢) .

خاتمة

تبين لنا من خلال العرض السابق حثه عليه الصلاة والسلام على الإجتهاد في العبادة وفقاً لقواعد وضوابط تجعل العمل والإجتهاد فيه لا يخل بالحقوق الشرعية المترتبة على المؤمن المجتهد والاشخاص تختلف قدراتهم وتختلف أحوالهم فالإنسان الذي يترتب على اجتهاده في العبادة إخلال بالحقوق الشرعية ووصول إلى حالةٍ من الملل تجعله ينقلب إلى التقصير بعد الإجتهاد ، وإلى الملل بعد العمل فهذا يؤدي ما يستطيع عليه من العبادة ويجتهد حسب إمكانياته .

وأما الذي لا يترتب على اجتهاده إخلال بالحقوق الشرعية ولا يصل إلى حالة من الملل فهذا الإجتهاد في حقه أولى من التواني ، بل إن الشخص الواحد يختلف حاله بين وقت وآخر فتارة في أعلى قمم الاجتهاد وتارة تجده يجتهد لكن ليس بنفس المرتبة السابقة .

والقرون الثلاثة الخيرة الأولى تميزت بدقة فهمها وسعة وشمول هذا الفهم ، وتميزت بصلتها القريبة بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام فليس من المعقول أن يخالف هذا الجمع الكبير من السلف هدي الرسول ﷺ في نهيه عن المبالغة في الإجتهاد ، ولكنهم وضعوا ضوابط وقواعد تضبط أعمالهم وفق سنته عليه الصلاة والسلام .

فقيام الليل كله ، وصوم الدهر ، وقراءة القرآن في اليوم والليلة ، هذه

الأعمال التي كان يقوم بها سلفنا الصالح ليست مخالفة لهديه عليه الصلاة والسلام ، والناظر الممحص الذي ينظر إلى الأمور بنزاهة ليعلم علم اليقين أنهم ما خالفوا سنته عليه الصلاة والسلام وإنما كانوا من أعظم من التزم هديه وفهم سنته ، وكيف لا وهم ائمة الهدى ونقلة سنته إلى الاجيال من بعده ففيهم من صحابته عليه الصلاة والسلام ومن خلفائه الراشدين ، ومن التابعين أولى الفهم والعمل ، ومن تبعهم بإحسان سادة الزهد وأئمة العلم وقادة الهدى وحملته إلى الناس ، أيكون هؤلاء على غير الهدى المستقيم ، معاذ الله أن يوصموا بهذه الوصمة إذن لانقلبت الموازين وتبدلت القوانين فأصبح الخير شريراً والشرير خيراً ، والمجتهد ضالاً ، والمقصر هادياً ، أهذا يستوي في العقول يا أهل الفطنة والعقول .

هذه الصفحات المضيئة المشرقة من عبادة السلف واجتهادهم سقناها لتكون زاد على الطريق للدعاة إلى الله تعالى ومن أراد أن يهتدي بهدي هؤلاء فيجتهد ، فالدعاة الذين أصابهم الفتور يجدون قبسات من النور تهديهم وتستحث هممهم إلى العمل ، والذين يريدون الاهتداء يجدون فيها عبرة وعظة تزيل الران عن قلوبهم وتساعدهم وتنتشلهم من أوحال الجاهلية المتعفنة .

فإلى هؤلاء جميعاً نقدم هذه الصفحات سائلين الله عز وجل أن يجعل منها مشاعل هدى تضيء لي وللمؤمنين الطريق والله الموفق للصواب .

عمان في ٣/ربيع الأول/١٤٠٨ هـ
٢٦/١٠/١٩٨٧ م
وكتب ابو نسيبة إبراهيم محمد العلي

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **أبو حنيفة إمام الأئمة الفقهاء** ـ لوهبي سليمان غاوجي الألباني .
٢ ـ **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** ـ لمحمد بن حبان البستي اعتناء كمال الحوت .
٣ ـ **أخبار أبي حنيفة وأصحابه** ـ للحسين بن علي الصيمري تعليق أبو الوفاء الأفغاني .
٤ ـ **الأدب المفرد** ـ لمحمد بن إسماعيل البخاري .
٥ ـ **آداب الشافعي ومناقبه** ـ لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم .
٦ ـ **أسد الغابة** ـ لعلي بن محمد عز الدين ابن الأثير .
٧ ـ **الأسماء والصفات** ـ لأحمد بن الحسين البيهقي .
٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ـ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
٩ ـ إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة ـ لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي .
١٠ ـ **أنباه الرواة على أنباء النحاة** ـ لعلي بن يوسف القفطي .
١١ ـ **البداية والنهاية** ـ لإسماعيل بن عمر ابن كثير .
١٢ ـ **تاريخ بغداد** ـ لأحمد بن علي الخطيب البغدادي .
١٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك** ـ لمحمد بن جرير الطبري .
١٤ ـ **التبيان في آداب حملة القرآن** ـ ليحيى بن شرف محيي الدين النووي .

١٥ ـ **تحفة الأحوذي على سنن الترمذي** ـ لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري .
١٦ ـ **تحفة الاشراف** ـ ليوسف بن عبد الرحمن المزي .
١٧ ـ **ترتيب المدارك** ـ للقاضي عياض بن موسى اليحصبي .
١٨ ـ **تذكرة الحفاظ** ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
١٩ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** ـ ليحيى بن شرف محيي الدين النووي .
٢٠ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** ـ لعبد القادر بدران .
٢١ ـ **تهذيب التهذيب** ـ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
٢٢ ـ **توالي التأسيس** ـ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
٢٣ ـ **الجرح والتعديل** ـ لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المعروف بابن أبي حاتم .
٢٤ ـ **حلية الأولياء** ـ لأحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني .
٢٥ ـ **حياة الصحابة** ـ لمحمد بن يوسف الكاندهلوي .
٢٦ ـ **خلق أفعال العباد** ـ لمحمد بن إسماعيل البخاري .
٢٧ ـ **الرسالة القشيرية** ـ لزكريا بن محمد الأنصاري .
٢٨ ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة** ـ لمجد الدين أحمد بن عبد الله الطبري .
٢٩ ـ **الزهد** ـ لأحمد بن حنبل الشيباني .
٣٠ ـ **الزهد** ـ لعبد الله بن المبارك المروزي .
٣١ ـ **الزهد** ـ لعلقمة بن مرثد .
٣٢ ـ **الزهد** ـ لهناد بن السري .
٣٣ ـ **الزهد** ـ لوكيع بن الجراح .
٣٤ ـ **السنن** ـ لأحمد بن الحسين البيهقي .
٣٥ ـ **السنن** ـ لسليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود .
٣٦ ـ **السنن** ـ لأبي عبد الرحمن النسائي .
٣٧ ـ **السنن** ـ لمحمد بن يزيد ابن ماجه القزويني .
٣٨ ـ **السنن** ـ لمحمد بن عيسى الترمذي .

٣٩ ـ **السنن** ـ لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي .
٤٠ ـ **سير أعلام النبلاء** ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
٤١ ـ **شذرات الذهب** ـ لعبد الحي بن العماد الحنبلي .
٤٢ ـ **شرح السنة** ـ للحسين بن مسعود البغوي .
٤٣ ـ **شرح الزرقاني على الموطأ** ـ لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني .
٤٤ ـ **شرح معاني الآثار** ـ لأحمد بن محمد الطحاوي .
٤٥ ـ **الشمائل المحمدية** ـ لمحمد بن عيسى الترمذي .
٤٦ ـ **شرح صحيح مسلم** ـ ليحيى بن شرف محيي الدين النووي .
٤٧ ـ **صحيح ابن خزيمة** ـ لمحمد بن إسحاق بن خزيمة .
٤٨ ـ **صحيح مسلم** ـ لمسلم بن الحجاج النيسابوري .
٤٩ ـ **صفة الصفوة** ـ لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي .
٥٠ ـ **طبقات ابن سعد** ـ لمحمد بن سعد .
٥١ ـ **طبقات الحنابلة** ـ لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي .
٥٢ ـ **طبقات الحنابلة** ـ لمحمد بن محمد بن أبي يعلى الفراء .
٥٣ ـ **طبقات الشافعية** ـ لعبد الوهاب بن علي السبكي .
٥٤ ـ **العبودية** ـ لأحمد بن عبد السلام ابن تيمية الحراني .
٥٥ ـ **العبادة في الإسلام** ـ للدكتور يوسف القرضاوي .
٥٦ ـ **العبر في خبر من غبر** ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
٥٧ ـ **عمل اليوم والليلة** ـ لأحمد بن شعيب النسائي .
٥٨ ـ **عمل اليوم والليلة** ـ لأبي بكر ابن السني .
٥٩ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ـ لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني .
٦٠ ـ **الفتوحات الربانية على الاذكار النووية** ـ لابن علان الصديقي .
٦١ ـ **في ظلال القرآن** ـ لسيد قطب .
٦٢ ـ **كشف الغمة بمعرفة الأئمة** ـ لعلي بن عيسى الكردي الاربلي .
٦٣ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ لعلي بن عبد الملك المتقى الهندي .

٦٤ ـ **مجمع الزوائد** ـ لعلي بن أبي بكر الهيثمي .
٦٥ ـ **المحجة في سير الدلجة** ـ لعبد الرحمن ابن رجب الحنبلي .
٦٦ ـ **مختصر قيام الليل** ـ لمحمد بن نصر المروزي .
٦٧ ـ **المحلى** ـ لعلي بن أحمد بن حزم .
٦٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** .
٦٩ ـ **مسند الحميدي** ـ لعبد الله بن الزبير الحميدي .
٧٠ ـ **مسند الطيالسي** ـ لسليمان بن داود الطيالسي .
٧١ ـ **مسند أبي عوانة** ـ يعقوب بن إسحاق .
٧٢ ـ **مستدرك الحاكم** ـ لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم .
٧٣ ـ **المصنف** ـ لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة .
٧٤ ـ **المصنف** ـ لعبد الرزاق بن همام الصنعاني .
٧٥ ـ **المعجم الكبير** ـ للإمام الطبراني .
٧٦ ـ **معرفة القراء الكبار** ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
٧٧ ـ **المعرفة والتاريخ** ـ ليعقوب بن سفيان الفسوي .
٧٨ ـ **المفردات في غريب القرآن** ـ لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني .
٧٩ ـ **مناقب الإمام أحمد** ـ لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي .
٨٠ ـ **مناقب الشافعي** ـ لأحمد بن الحسين البيهقي .
٨١ ـ **مناقب عمر بن الخطاب** ـ لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي .
٨٢ ـ **المنتخب من مسند عبد بن حميد** ـ لعبد بن حميد .
٨٣ ـ **موارد الظمآن لزوائد ابن حبان** ـ لعلي بن أبي بكر الهيثمي .
٨٤ ـ **الموافقات** ـ للإمام الشاطبي .
٨٥ ـ **الموطأ** ـ للإمام مالك بن أنس الأصبحي .
٨٦ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ـ ليوسف بن تغري بردى الأتابكي .
٨٧ ـ **نزهة الألباء** ـ لعبد الرحمن بن محمد بن الأنباري .
٨٨ ـ **ميزان الاعتدال** ـ لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .

٨٩ ـ **نيل الأوطار** ـ للشوكاني .
٩٠ ـ **هذا الدين** ـ للأستاذ سيد قطب .
٩١ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ لأحمد بن محمد بن خلكان .

فهرس الموضوعات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء